حسن الحلبي

نوفاتيرا

رواية

الرواق للنشر والتوزيع

1

كان صوت الموسيقى الحماسية مرتفعًا وصاخبًا جدًا وسط كل تلك الأجهزة والآلات، لكن (عصام) كالعادة- لم يتدخل ولم يقل شيئًا لأحد؛ فهذه هي أجواء نوادي اللياقة البدنية وكمال الأجسام بشكل عام..

كان يرتدي بذلة الرياضة الصيفية الخفيفة، التي احضرتها له خطيبته (لَمَا) قبل فترة، حين فاجأته بها حين كان عندها في بيت أهلها، لم يكن هناك مناسبة ما، لكنها رأتها وأحبت أن يرتديها، شعرت أنها مناسبة جدًا له..

ابتسم وهو يتذكر جولتهما بالأمس في (بوليفارد العبدلي)، وكيف قضوا وقتًا ممتعًا؛ حيث كان الفيلم الذي شاهداه مشوقًا، وكان طعام العشاء في المطعم أكثر من رائع..

لم يمرّ على خطبته منها أكثر من شهرين، وربما يتم الزواج خلال عدة أشهر، حسب ظروف الحياة والعمل..

شرب بعض الماء ومشى باتجاه أقرب جهاز للركض.. وضع السرعة الرابعة وبدأ بالهرولة، ما زالت الساعة السابعة صباحًا، وهو يحب أن يكون هنا، وأن يفعل هذا كل يوم، وهو القدوم للنادي ولعب بعض التمارين؛ للمحافظة على اللياقة قبل الذهاب إلى مبنى الإدارة.. يكفي أنه لا يدفع شيئًا للاشتراك هنا، منذ تلك اللحظة التي عرف فيها الكابتن (وليد) أنه يعمل في البحث الجنائي، ورتبته رائد، وهو مصرٌّ أنه مدين له بشكل أو بآخر، لا يدري لماذا!

ورغم أنه يحب عمله، إلا أن (لَمَا) تحب عمله أكثر مما هو يحبه بكثير؛ حيث هُناك تلك الهيبة أمام الناس والأقارب، بالذات مع الهيئة التي تساعده في إظهار هذا الجانب العملي في شخصيته؛ الجثة الضخمة، سيارته (الدودج) الأمريكية السوداء، رأسه الأصلع ولحيته الدائرية، ونظارته السوداء، يبدو شبيهًا برجل عصابات هارب من فيلم ما، أو

مثل (جون ترافولتا) في فيلم القطار الشهير..

هذا أفضل، يجب أن يفعل هذا..

مرّت أكثر من نصف ساعة وهو يركض، قبل أن يرن هاتفه، (طارق) يتصل، من البحث الجنائي..

ضغط زر الإجابة، وقال:

ـ آلو، نعم يا (طارق)..

كان (طارق) متوترا وهو يقول:

ـ نعم يا (عصام) بيك، أين أنت؟!

أجابه وهو يلهث:

ـ بالنادي طبعًا، كالعادة، هل من جديد؟!

بقلق شديد، أجابه (طارق):

ـ حاول أن تأتي بأسرع وقت إلى المطار، الآن..

قال (عصام) بدهشة وهو يضغط على زر إيقاف الجهاز:

ـ ماذا هناك؟!

قال (طارق) بانفعال:

ـ هناك طائرة أردنية اختفت عن شاشة الرادار، منذ نصف ساعة تقريبًا!

* * *

خلال أقل من نصف ساعة، كان (عصام) في المطار، بعد أن قام بتغيير ملابسه بأقصى سرعته..

أوقف سيارته جانبًا، وقبل أن يأتيه شرطي السير الذي يقف هناك كان

قد رفع له هويته التي تقول بوضوح إنه يعمل مع البحث الجنائي، ليجد في وجهه (طارق)، ويمشي بجانبه بسرعة..

قال (عصام) بفضول شديد:

- ما الأمر؟!

قال (طارق) وهو يناول ملفًا أزرق اللون، كله أوراق:

- الطائرة RJ 1903 تابعة لطائرات الملكية الأردنية، متوجهة من (عمّان) مباشرة باتجاه (إسطنبول) في (تركيا)، اقلعت بشكل عادي ومن غير أي مشكلات كالعادة، ولكن في تمام الساعة ٦:٢٥ دقيقة صباح اليوم الخميس، اختفت فجأة عن شاشة الرادار، دون أي تفسير منطقي إطلاقًا..

تساءل (عصام) بقلق:

- كيف اختفت فجأة؟!

أجابه (طارق) وهو يقلب كفيه:

- فجأة يا (عصام) بيك.. فجأة.. اختفت بطريقة غريبة وغير متوقعة، ودون أي إنذار..

قال (عصام) باهتمام:

- وما الذي يقوله خبراء الاتصالات؟!

قال (طارق) بعد أن سعل:

- كان معنا النقيب (عدنان) قبل قليل، من قسم الجرائم الإلكترونية، وهو هاكر قديم، ومخترق معروف..

غمغم (عصام):

- نعم، أعرفه..

أكمل (طارق):

- ويعاونه زميله (معاذ) من وزارة الاتصالات الأردنية، ويقول الاثنان إن الأمر محير وغامض جدًا، الطائرة اختفت تمامًا دون أثر، وحاولنا الاتصال بالطيار كثيرًا، دون جدوى..

نزلا من السلالم مع بعضهما، و(عصام) يسأل:

- من اتصل بك كي تتصل بي؟!

قال (طارق) وهو يحاول أن يوازي خطواته السريعة:

- قامت الملكية الأردنية بتبليغ الشرطة مباشرة، وقامت إدارة الشرطة بتبليغ إدارة البحث الجنائي، وكنت أنا هناك طبعًا، وكانوا يريدون شخصًا محترفًا بهذه الأمور بالذات، وكان الاقتراح الأنسب هو أنت طبعًا؛ بسبب خبرتك في أمور الطائرات المختطفة، وسمعتك التي تسبقك، بما يتعلق بالتعامل مع المختطفين..

قلب (عصام) بين صفحات الملف الذي يحمله..

هذه أسماء الركاب؛ الطيار ومساعده، والطاقم، ومعلومات عن الرحلة والإقلاع ووقت الهبوط..

ألقى نظرة سريعة على المعلومات، وأعطى (طارق) الملف..

أكملا المسير وهو يفكر بالأمر حتى وصلا إلى واحدة من البوابات، حيث كان هناك شخص في حدود الستين من عمره، أشيب، ويرتدي بذلة زرقاء أنيقة، وكان حوله مجموعة من ضباط الشرطة، والبحث الجنائي..

اقتربا منهم وعرفا عن نفسيهما، كان الشخص الستيني هو (حسين عباس) مدير الملكية الأردنية، وكان قلقًا ومتوترًا بشدة، يفرك يديه ببعضهما، ويدخن بعصبية، سيجارة تلو السيجارة..

قال (عصام) وهو يجلس أمامه، ويشبك يديه ببعضهما:

- هل حدث أي شيء قبل الإقلاع؟! أي تصرف شعرتم أنه خطأ أو ليس منطقيًا؟! أي أمر مثير للشبهات أو الشكوك؟!

قال (حسين) وهو يشعل سيجارة جديدة:

- كل شيء مر بكل الخطوات الروتينية، كالمعتاد طبعًا، والطائرة انطلقت في موعدها مثل كل الرحلات الأخرى، وأفراد الطاقم وصلوا جميعًا دون أي تأخير أو غياب، وليس هناك أي داع للقول إنه الطاقم مختار بعناية فائقة، مثل كل طواقم الملكية الأردنية، من موظفين وعمال ومساعدين وطيارين ورجال أمن و..

قاطعه (عصام) فجأة، وهو يعدل جلسته:

- اعذرني على المقاطعة، لكن ما أعرفه أن هناك رجل أمن بين الركاب في كل رحلة طيران، أليس كذلك؟! ألا تفعلون هذا؟!

هز (حسين) كتفيه، وقال:

- بلى، هذا صحيح، الملازم (كامل) معهم في الطائرة، وحاولنا الاتصال معه كما حاولنا الاتصال مع الطيار ومساعده من غير أي فائدة، كأن كل الخطوط مقطوعة، شيء غريب جدًا، بالذات مع هاتف الملازم (كامل) الخاص..

ابتسم (عصام) وقال:

- لماذا؟! هل هاتفه هو أحدث أيفون حتى الآن؟!

قال (حسين) وهو يسحب نفسًا عميقًا من السيجارة:

- لا.. هاتفه خاص؛ لأنه يعمل عن طريق الأقمار الصناعية! ما أقصده أنه من المفروض أن يعمل بطريقة طبيعية حتى لو كانت الاتصالات مقطوعة عن كل الطائرة؛ في الحقيقة ليس هناك أن سبب يمنع

التواصل معه بالذات، إلا...

وصمت برهة، ليقول (عصام) بكل لهفة:

- إلا إذا ماذا؟!

قال (حسين) بتوتر بالغ:

- إلا إذا وقعت الطائرة على الأرض وانفجرت!

* * *

الساعة ٨:٠٥ صباحا..

جلس (عصام) ومعه (طارق)، مع مدير الملكية الأردنية (حسين) في برج الاتصالات في المطار، وسأل المراقبين الاثنين الجالسين أمامهما، وقد وضع كل منهما سماعات ضخمة على راسه، والذين كان القلق واضحا بشدة على ملامحهما:

- أخبروني بالضبط عن الذي حدث..

قال (أيمن)، وهو المراقب الأول:

- انطلقت الطائرة في مسارها دون اي مشكلات، وبعد أقل من ربع ساعة من الطيران، انقطعت جميع الاتصالات فجأة، واختفت الطائرة عن شاشة المراقبة، دون سبب..

سال (عصام) باهتمام، وهو يشرب من فنجان القهوة السادة الذي وضعوه أمامه فور أن جلس:

- من المفترض أن تظل الاتصالات بينكم وبين الطيار حتى أخر لحظة، أليس كذلك؟!

قال (أيمن) وهو يهز رأسه:

- صحيح..

قال (عصام) وهو يشير بسبابته:

ـ حسنًا، ألم يقل الطيار شيئًا قبل أن تختفي الطائرة من البث؟!

لم يقل أي شيء؟! لم يستنجد؟! لم يقل أي كلمة عن الطائرة أو اختفائها أو تعرضها لأي خطر؟! لم يقل إن هناك خللًا بالمحركات؟! لم يقل أي شيء، سواء لنفسه أو لزميله، بتاتًا؟!

قال (عبد الغفار)، وهو المراقب الثاني، بعد أن تبادل نظرة مع (أيمن)، ومع (حسين) مدير الملكية الأردنية:

ـ هنا الشيء الغريب..

رفع (عصام) أحد حاجبيه للأعلى، وقال:

ـ ما هو الشيء الغريب؟!

تنحنح (عبد الغفار) وقال:

ـ قبل أن تختفي الطائرة بثانية واحدة، قال الطيار كلمة غامضة جدًا، لم نفهم معناها..

عقد (عصام) حاجبيه بشدة، وتساءل بدهشة:

ـ كلمة؟! ما هي؟!

قال (حسين) وهو يسحب نفسًا من سيجارته:

ـ نوفاتيرا!

ازداد انعقاد حاجبي (عصام)، ولوهلة غرق في تفكير عميق، قبل أن يسأل:

ـ نوفاتيرا؟! ماذا تعني هذه الكلمة؟!

قال (حسين) وهو يهز رأسه بحيرة:

ـ لا أعلم، ليست كلمة معتادة أو مألوفة، ولا تدل على شيء واضح أو

معنى قريب.. ما الذي تعنيه؟!

تساءل (عصام):

ـ إذا هي ليست كلمة تقولونها أو ترددونها في عالم الطيران والإقلاع والهبوط وهذه الأمور؟!

قال (عبد الغفار) نافيا:

ـ لا يا (عصام) بيك.. كلمة مجهولة المعنى تماما بالنسبة لنا..

هز (عصام) رأسه بتفهم، ثم سأل مجددا:

ـ وبعد أن قالها، ما الذي حدث؟!

قال (عبد الغفار):

ـ قالها ثم انقطع الاتصال بيننا وبينهم، وبنفس اللحظة اختفت الطائرة عن الرادار.. نستطيع رؤية كل الطائرات بسهولة ووضوح على الشاشة، نقاط خضراء لامعة، إلا الطائرة RJ 1903 التي لم نعد نستطيع رؤيتها أبدا..

فجأة رن هاتف (عاصم)، كانت (لما) التي تتصل به..

لم يرد عليها، وأرسل لها رسالة جاهزة تقول إنه مشغول، ثم نهض من مكانه، اقترب من الشاشة، وقال:

ـ ما هو آخر مكان كانت تطير فوقه وكانت ظاهرة فيه؟!

أشار (عبد الغفار) بيده إلى نقطة في الشاشة، وقال:

ـ هنا؛ فوق (عجلون) تقريبا..

أخذ (عصام) نفسا عميقا وقال:

ـ فوق (عجلون)؟! غريب جدا، هل من المعقول أن هناك صاروخا قد فاجأهم مثلا؟! من أين؟! (سوريا)؟! (فلسطين)؟! (لبنان)؟! (تركيا)؟!

من أين؟!

وحدق في الشاشة قليلا دون أن ينطق بكلمة أخرى، لكن كان من الواضح أنه قد غرق في تفكير عميق، بالمقابل لم يعلق أحد منهم بكلمة، واكتفوا بالنظر إليه..

فجأة قال:

- (طارق).. أريد واحدا من رجال الشرطة، الآن..

قال (طارق) بسرعة:

- سأنادي لك الملازم (حمزة)، نحن نتعاون معه ببعض الأمور منذ زمن لا بأس به..

خلال دقائق كان الملازم (حمزة) أمام (عصام)، وبعد أن قاموا بتبادل التحيات، أشار (عصام) إلى الشاشة وقال:

- أرجو منك أن تقوم بإبلاغ الدوريات الخارجية ولكل رجال الشرطة في (عجلون) أن يذهبوا إلى هذه المنطقة، أريد بحثا شاملا، عملية تمشيط كاملة للمنطقة من الأرض، بسيارات الشرطة طبعا، وخذوا الكلاب البوليسية أيضا، وحتى أنت يا (طارق)..

ونظر إلى (طارق) الذي ظهر الاهتمام على وجهه مباشرة، بينما (عصام) يقول له:

- اذهب بأقرب طائرة هليوكبتر، ومشط المنطقة من الجو، أريد بحثا كاملا دقيقا وجوابا نهائيا خلال أربعة ساعات كحد أقصى، أريد أن تكشفوا المنطقة كاملة بدائرة نصف قطرها عشرون كيلومترا، حتى لو كنتم قريبين من الحدود، خذوا كل التصاريح اللازمة فورا..

قال (طارق) وهو يهز رأسه:

- حسنا يا (عصام) بيك..

أكمل (عصام) بصرامة:

- أبلغ إدارة البحث الجنائي، وأبلغ الأمن العام أيضًا، أن يتعاونوا معكم وأن يمدوا يد المساعدة لكم بأكبر قدر ممكن من الرجال والإمكانيات.. من الضروري أن نحافظ على سرية ما يحدث، وأن لا تتسرب أي تفاصيل للإعلام، لا نريد ضجيجًا وبلبلة من أي نوع، يكفينا ما نحن فيه..

قال الملازم (حمزة) باستغراب:

- أعتذر منك (عصام) بيك، لكن لو وقعت الطائرة على الأرض وانفجرت لعرفنا هذا فوزا، لا بدَ أن يراها احدهم وهي تسقط، أو النيران، أو الدخان، هذا لو وقعت فعلا..

اقترب منه (عصام) وقال بحزم:

- شكرًا لك، لكن هذه خطوة متأخرة أساسًا، وكان من الواجب أن تتمّ فور معرفتكم بما حدث، ليس عندما سألت وعرفت بنفسي.. لو أن الطائرة سقطت في حدود المنطقة، وكان فيها بعض الناجين، ستكون فرصتهم في الحياة قد انخفضت كثيرًا في هذه اللحظات، وربما كان هناك بعض الأحياء الذين صاروا أمواتًا الآن.

وصمت لثانية واحدة، وقال:

- .. هيا، تحركوا، غادروا المكان..

غادر (طارق) و(حمزة) برج المراقبة سريعًا، وتبادل المراقبان (أيمن) و(عبد الغفار) النظرات.

تنهد (حسين).. وقال وهو ينهض:

- اسمح لي (عصام) بيك، يجب أن أذهب لمكتبي، وأريد أن آخذ هذا الملف معي.

سأله (عصام) مباشرة:

- أي ملف؟!

أشار (حسين) للملف الأزرق، الذي أمامهم على الطاولة قائلًا:

- هذا الملف، الذي فيه معلومات الرحلة والركاب..

قال (عصام) بحزم:

- لا، اتركه لي، لأنني اريد ان أسـ..

وفجأة سكت..

سكت وشردت عيناه في الفراغ قليلا، وأمسك الملف، وقلب صفحاته بسرعة، ووهو يمر بعينيه على السطور، وعلى ملامحه قلق وتوتر، بينما يتنفس بصوت واضح ومرتفع..

- ماذا هناك يا (عصام) بيك؟!

سأله (حسين).. ولكنه لم يجبه، امسك هاتفه واتصل بالقسم التقني في إدارة البحث الجنائي سريعًا، انتظر قليلا إلى أن أجابوه، وقال مباشرة وبلهفة:

- آلو، الرائد (عصام) معك، نعم، أين (نعمان)؟! حول اتصالي عليه سريعًا، نعم، بسرعة، حسنًا..

وصمت هنيهة، بينما ينظر إليه الجميع، واكمل:

- آلو.. (نعمان)؟! الرائد (عصام) معك.. بسرعة ومن غير تفاصيل كثيرة؛ الطائرة RJ 1903 من الملكية الأردنية اختفت عن الرادار اليوم وهي في طريقها من (عمان) إلى (تركيا).. نعم، نعم أنا هنالـ، اسمعني يا (نعمان)! أريد منك أن تكشف على أسماء المسافرين جميعًا؛ لأن هناك شيئا يجب أن أتأكد منه.

وصمت قليلاً، ليقترب منه (حسين) ويقول، وعلى وجهه اهتمام ولهفة

شديدان:

- ما الذي يدور في راسك يا (عصام) بيك؟!

تجاهله (عصام) كليًا وهو يهز رأسه، ويكمل كلامه مع (نعمان) من القسم التقني في البحث الجنائي:

- .. أها! حسنًا.. مممم! حسنًا..

التزم الصمت و(نعمان) يتكلم، وبعدها سأل بدهشة وانزعاج وسط استغراب الجميع:

- .. حقًا؟! هل أنت متأكد؟! كلهم؟!

وسكت بعدها عدة ثوان، ثم قال:

- .. يا إلهي!

وأنهى الاتصال، بينما الصدمة واضحة على ملامحه..

كان وجهه أصفر اللون، حرفيًا!

القلق هو الذي يسيطر عليه بشكل كبير.. جلس في مكانه، بينما عيون (حسين) و(أيمن) و(عبد الغفار) عليه بتوتر..

قال (عصام) باقتضاب:

- أغلب الذين في الطائرة علماء!

لم يفهموا العبارة..

عقد (حسين) حاجبيه باستغراب، وقال:

- ماذا؟!

نهض (عصام) بسرعة، وبدأ بالكلام بقلق شديد:

- أغلب الذين في الطائرة علماء، إنها ممتلئة بعلماء من كل المجالات؛

علماء في الطاقة النووية والذرية، والاقتصاد، والنبات والحشرات، وخبراء وبروفيسورات بالفيزياء والكيمياء، والفلك والرياضيات واللغات.. العلماء من أكبر وأهم جامعات العالم، وبالطبع من كل الجنسيات، وبعضهم مع عائلاتهم، أي أنَ هناك سيدات وأطفال في الطائرة أيضًا..

قال (حسين) بعد أن تبادل نظرة سريعة مع المراقبين:

- وما الذي جمع كل هؤلاء في طائرة واحدة؟!

قال (عصام) وهو ينظر إليهم جميعًا:

- كان هناك مؤتمر عالمي في (قصر المؤتمرات)، وتقرَر أن يكون المؤتمر على مرحلتين؛ الأولى في (الأردن)، والثانية في (تركيا)، ولأجل هذا انطلقوا جميعًا في الطائرة، مع بعضهم البعض، من أجل المرحلة الثانية من المؤتمر؛ في (إسطنبول).. لا بدَ أن أشير أيضًا أن هذا المؤتمر يُقام بالتزامن مع ثلاثة مؤتمرات عالمية شبيهة؛ في عدة دول..

قال (حسين) مستفهمًا:

- لم أفهم بعد.. ما الذي يعنيه هذا؟!

وقال (عبد الغفار) بقلق:

- ما الذي تقصده بالضبط (عصام) بيك؟!

قال (عصام) بعد أن تنهد:

- حسب ما أتوقعه وأراه، ابتداءً من هذه اللحظة؛ أن الطائرة لم تسقط ولم تنفجر، ولم يحدث شيء لها..

سأله (حسين) باستغراب:

- أتعتقد أنها لم تسقط في (عجلون)؟!

أجاب (عصام) وهو ينظر في عيون الجميع:

- لا في (عجلون)، ولا بغير (عجلون)..

قال (حسين) وهو يرفع أحد حاجبيه:

- إذًا أين الطائرة يا سيادة الرائد؟!

قال (عصام) وهو ينظر في عينيه مباشرة:

- الطائرة مخطوفة!

* * *

2

مرت أكثر من ساعة إلا الربع، و(طارق) يجلس بجانب الطيار، وهما يحلقان في الجو بالهليكوبتر، على ارتفاع منخفض، وهو يرى من مكانه الملازم (حسين)، ومعه العديد من عناصر الأمن العام والدرك والبحث الجنائي، وهم يقومون بتمشيط المنطقة بشكل مكثف ودقيق، مع أجهزة حديثة وإلكترونية بأيديهم، وكلاب بوليسية، تحاول أن تجد أي شيء..

غريب جدًا..

لا يوجد أي أثر!

جاءه اتصال فجأة، رقم غريب، رد عليه بسرعة:

- الملازم (طارق)، معك (معاذ) من وزارة الاتصالات..

قال (طارق) مرحبًا:

- نعم يا (معاذ)، أهلًا..

قال (معاذ) بلهجة توحي بالحذر:

ـ أخبرني أحد العناصر معكم، من البحث الجنائي وعلى علاقة مباشرة معنا بوزارة الاتصالات؛ إن هناك مجالًا كهرومغناطيسيًا قويًا في الجو عندكم..

بدهشة قال (طارق):

ـ كهرومغناطيسي؟!

أجابه (معاذ):

ـ المنطقة مشحونة بطاقة كهرومغناطيسية مجهولة المصدر يا (طارق)، ونحن نحاول في هذه اللحظات أن نصل لمعرفة من أين يصدر بالضبط؛ لأنه لا يوجد أي شيء قريب من مكانكم كي أتوقع أنه مسئول عن هذا الشيء، لا يوجد..

باستغراب قال (طارق):

ـ مجهولة المصدر؟!

قال (معاذ):

ـ نعم، تمامًا.. هذا شيء غريب ومتقدم علميًا بشكل كبير، لكن الأجهزة التي مع الرجال استطاعت التقاط الترددات..

سأله (طارق) وعيناه تنظران إلى الأجهزة:

ـ هل أخبرت الرائد (عصام)؟!

قال (معاذ) نافيًا:

ـ لا..

بنفس اللحظة رن هاتفه الثاني، كان الملازم (حمزة) يتصل، قال (طارق) بسرعة كي ينهي المكالمة:

ـ أخبره، يجب أن أذهب الآن..

وأنهى المكالمة، وردَ مباشرة على (حمزة):

- .. نعم يا (حمزة)، هل من جديد؟!

جاءه صوت (حمزة) يحمل عدة مشاعر مختلطة، ما بين التصديق وعدم التصديق، وما بين القلق والتوتر واللهفة، بنفس الوقت:

- معنا شاهد عيان يا (طارق)!

قال (طارق) بأعصاب مشدودة:

- ماذا؟!

قال بنبرة فجرت فضوله حتى الحد الأقصى:

- هناك شاهد عيان، وما يقول إنه رآه هو شيء مستحيل، ولا يمكن تصديقه.. مستحيل!

***

أنهى (عصام) مكالمته مع (معاذ) من وزارة الاتصالات، وتنهد تنهيدة عميقة وألقى نظرة من جديد على جميع الموجودين.. (حسين) مدير الملكية الأردنية، والمراقبان (أيمن) و(عبد الغفار)، والذين انضم إليهم (زيد) و(صافي) من إدارة البحث الجنائي قبل ساعة تقريبًا..

قال (حسين) بدهشة:

- طاقة كهرومغناطيسية؟! كيف؟! ولماذا؟!

تمتم (عبد الغفار) وهو يفكر:

- أي أنَ هذه ليست حالة عادية..

التفت إليه (عصام) وقال مشيرًا بسبابته:

- ما الذي تقصده؟!

قال (عبد الغفار) بانفعال، وهو يحرك يديه بحماس، مديرًا عينيه في

طريق رجال عصابات، أو أشخاص مسلحين يرتدون الأقنعة، ويطلقون التهديدات من أجل أموال، أو فدية ما، أو لإطلاق سراح أحد في السجن مثلًا..

قال (أيمن)، المراقب الثاني:

ـ ماذا إذًا؟!

قال (عبد الغفار) وعلى وجهه ابتسامة ظفر:

ـ أعتقد أنّ العملية تمت بهدوء وبذكاء عالٍ، دون أن يعلم أحد كيف، وهكذا اختفت الطائرة تمامًا بلحظة، ووجود هذه الطاقة يؤيد توقعاتي حتى الآن..

قال (عصام) وعلى وجهه فضول كبير:

ـ وما الذي تتوقعه بالضبط يا (عبد الغفار)؟!

قال (عبد الغفار) بجدية شديدة:

ـ إخفاء متعمد! هناك شخص، أو جهة معينة، أو دولة ما، أخفت الطائرة عمدًا وبطريقة تكنولوجية متقدمة جدًا، والهدف هو العلماء الذين في الطائرة، كلهم..

تمتم (حسين) بقلق:

ـ يا إلهي!

هز (عبد الغفار) رأسه وقال:

ـ يعلم الله وحده ما غاية الجهة أو الدولة من وجود كل هؤلاء العلماء والعقليات في مكان واحد..

غرق (عصام) بتفكير عميق، وفجأة جاءه اتصال..

الملازم (حمزة) هو صاحب الاتصال، لذا ردّ عليه بسرعة، لحظات

وجوههم:

ـ ما أقوله إنَ هذه ليست حالة اختطاف معتادة أو مألوفة، والطائرة حسب ما أراه ليست على الأرض، ولم يحدث شيء بها، وكل الجهود التي تبذل في (عجلون) مهدورة.. إنهم يضيعون وقتهم، ولن يجدوا شيئًا هناك..

سأله (عصام) باهتمام:

ـ لماذا؟!

قال (عبد الغفار) بنفس الانفعال:

ـ هناك علماء من كل المجالات في الطائرة، التي اختفت بلحظة ودون أي إنذار عن الرادار وبطريقة مجهولة، وبنفس الوقت تم التقاط آثار لطاقة كهرومغناطيسية في المكان..

قال (عصام) وهو يعقد حاجبيه:

ـ وما الذي يعنيه وجود هذه الطاقة؟! ألا يمكن أن تكون مجرد شذوذ في الطبيعة مثلًا؟! أو بسبب شيء في الجاذبية الأرضية؟!

هزَ (عبد الغفار) رأسه نافيًا بقوة:

ـ هذا الطراز من الطاقة يوحي بأنَ هناك إخفاء متعمد..

سأل (حسين) بدهشة:

ـ متعمَد؟!

بينما قال (عصام) باهتمام، وهو يضع أحد رجليه فوق الأخرى:

ـ ما الذي تقصده؟!

قال (عبد الغفار) وعيناه تلمعان:

ـ ما أقصده هو أنه لم يتم اختطاف الطائرة بالطريقة التقليدية، عن

مرت بينما ينظر الجميع إلى ملامح (عصام)، والتي تحولت إلى كيان يحمل كل مشاعر القلق في العالم..

أنهى (عصام) الاتصال، وقال بتوتر واضح:

- هناك شاهد عيان..

قال (حسين) بكل لهفة:

- رائع! وما الذي رآه؟!

ابتلع (عصام) ريقه، وقال بنفس التوتر:

- يقول إن الطائرة مرت من فوق رأسه، ورفع عينيه ليراها، لكنها اختفت فجأة في الجو..

صمتوا قليلًا، قبل أن يقول (أيمن) بدهشة:

- اختفت فجأة؟!

وسأله (عبد الغفار) بانفعال، وهناك بريق في عينيه:

- حقًا؟!

قال (عصام) وهو يشير بانفعال:

- اختفت فجأة! كانت في السماء، وفجأة لم تعد في السماء! اعتقد الشاب أن هناك شيء في عينيه، مما جعله يفركهما ويعيد النظر مباشرة، ولكن لم يكن هناك شيء! لا يوجد غيوم كي تختفي الطائرة أو تغوص فيهم! الطائرة اختفت فجأة من فوقه، تبخرت تمامًا وكأنها ليست موجودة!

نهض (عبد الغفار) وقال بانفعال:

- هذا يؤكد ما كنت أقوله، هناك جهة أخفت الطائرة عمدًا، وبسرعة غير عادية، لدرجة أنّ الطيار ومساعده وحتى رجل الأمن (كامل) لم

ينتبهوا لما حدث، ولم يستطع أي منهم أن يقول كلمة أو يتصرف شيئًا، فالطائرة تم قطع الاتصالات عنها فور إخفائها..

قالها وجلس، وهو يشهق ويزفر..

لم يعلّق (عصام) بكلمة، وهو يتأمل ويحلل كل كلمة، ويدير الأمر برأسه من كل الوجوه.

ما هذا اللغز الغريب؟!

طائرة فيها علماء من كل المجالات، تختفي فجأة في الجو، من غير أي سبب منطقي.

وشاهد عيان يقول إنها تبخرت في الهواء، وكأنها دخلت في حاجز أو منطقة غير مرئية، وهناك ترددات كهرومغناطيسية في منطقة الاختفاء، ترددات مجهولة المصدر.

من فعل هذا؟!

ولماذا؟!

ما الهدف من القيام بشيء كهذا؟!

اختطاف؟!

فعليًا: هذه حالة اختطاف كاملة، متكاملة الأركان!

لكن، من المختطف؟!

من المستحيل أن يتم عمل كل هذه الأشياء من بعيد، يجب أن يكون المختطفون أو أحدهم في الطائرة، لكن كيف سيحدث هذا، وكل من فيها علماء؟!

لحظة، هل حقًا كل الركاب من العلماء؟!

يجب أن يتأكد..

قال بحزم وهو ينظر إلى (حسين) الذي جلس يدخن سيجارة جديدة، لا يعرف كم رقمها بالضبط:

ـ هل كل من في الطائرة علماء؟! كلهم؟!

بعدم فهم وغباء قال (حسين):

ـ لم أفهم!

قال (عصام) بحدّة:

ـ هل من الممكن أن يكون كل من في الطائرة علماء؟! كل الركاب؟! أم أن هناك ركابًا عاديين آخرين؟!

قال (حسين) مباشرة ودون تردد:

ـ لا، لا أعتقد أنها محجوزة بالكامل للعلماء، أستبعد هذا، ربما حجزوا أغلب المقاعد للعلماء المشاركين في المؤتمر، وبقيت هناك بعض المقاعد لركاب آخرين قاموا بالحجز في نفس الرحلة المتوجهة إلى (إسطنبول) من قبيل الصدفة.

غمغم (عصام) بغموض، وهو يفكّر:

ـ ربما هي صدفة، أو ليست كذلك!

تساءل (حسين):

ـ ما الذي تعنيه؟!

قال (عصام) وهو يشير بيده:

ـ كم عدد ركاب الطائرة؟!

ـ الطائرة فيها ١٢٤ مقعدًا، بجانب الطيار ومساعده.

قال (عصام) وهو ينظر نحو (أيمن):

ـ أرجو أن تتأكد من عدد الذين صعدوا إلى الطائرة.

تساءل (طارق):

ـ وكيف له أن يتأكد من هذا؟! ولماذا لم تتأكد من عدد الركاب قبل أي شيء؟!

قال (أيمن) وأصابعه تتحرك على لوحة المفاتيح:

ـ لا نتأكد من العدد إلا لو طلب أحد منا هذا الأمر، كما أننا نعرف هذا عبر عدّ تلقائي للمقاعد، بطريقة إلكترونية، أشبه بنقاط تظهر لنا عدد المقاعد المتبقية، والـ..

بتر كلامه فجأة، بينما نظرات الجميع مسلطة عليه بتركيز واهتمام، قبل أن يردف وهو يرفع عينين مذعورتين:

ـ .. عدد الركاب الذين صعدوا إلى الطائرة ١٢٥ شخصًا!

صمتوا قليلًا، وهم يحاولون استيعاب الفكرة..

قال (حسين)، وقد شحب وجهه فجأة:

ـ ماذا؟!

قال (عصام) وهو يجلس، ويشبك أصابعه أمام وجهه، بينما تضاعف التوتر بكل ملامحه:

ـ هذا معناه أن هناك راكبًا إضافيًا، مجهول الهوية!

* * *

مرت أكثر من ربع ساعة، بينما ينظر الجميع خلالها إلى الشاشات التي أمام (أيمن) و(عبد الغفار)، وهما يحاولان كشف هوية الشخص الغريب والمجهول..

الشخص الغامض..

الشخص رقم ١٢٥، والذي لا توجد أي معلومات عنه، ولا اسمه، ولا أي شيء في سجلات الطائرة التي تم تحميلها عبر الشبكة قبل الرحلة بدقائق..

الشخص الذي لم يذكر عنه أي شيء، إلا رقمه فقط..

كان على متن الرحلة ١٢٤ راكبًا، ليصبح العدد ١٢٥ راكبًا فجأة، وبشكل صادم!

هذا يعني أن هناك شخصًا استطاع أن يتجاوز كل إجراءات الأمن ببساطة.. وبسهولة!

هذا يعني أنه ودون أي قلق وتوتر، استطاع أن يصعد على متن الطائرة وأن يختطفها، أو يساعد باختطافها، أو سهل العملية على الجهة أو الدولة المسئولة عن كل ما حدث وما سيحدث..

من ولماذا؟!

وكيف؟!

ومنذ متى يتم التخطيط لهذا الأمر؟!

فكّر (عصام) بكل هذه الأسئلة، وعصف رأسه بجنون، وهو يحاول أن يجد أي تفسير دون فائدة..

حاول التركيز قليلًا مع المراقبين، والشاشات، حاول أن يجد أي شيء ملفت للانتباه، أي شيء مثير للشبهات، أي شيء من شأنه أن يصنع دائرة شكوك صغيرة مثلاً..

فجأة شهق (حسين)!

شهق برعب، وأشار بسبابة مرتجفة إلى الشاشة اللي ينظر عبرها (أيمن) إلى تسجيلات ما قبل الإقلاع، للطاقم والركاب..

اقترب (عصام) بسرعة، وهو يطلب من (أيمن) أن يوقف الشاشة

مؤقتًا، وأمسك كتفي (حسين) وقال بقلق:

ـ ما بك؟! ما الذي رأيته؟!

بصوت مرتعش قال (حسين):

ـ ارجع للخلف قليلا يا (أيمن)، قليلا..

أرجع (أيمن) الفيديو قليلًا، كما قال (حسين).. اقترب (حسين) من الشاشة ووضع أصبعه على وجه شخص بالأربعينيات من عمره:

ـ قم بتقريب الصورة.. الآن، الآن..

قرّب (أيمن) الصورة حتى أكبر قدر ممكن..

أصبح وجه الشخص بحجم الشاشة كلها، ملامحه هادئة وناعمة، شعره خفيف، ولحيته بيضاء خفيفة كذلك..

قال (عصام) بكل حيرة وهو يتأمل صاحب الوجه:

ـ من هذا يا (حسين)؟!

قال (حسين) وهو يجلس ويسحب نفسًا عميقًا جدًا من سيجارته، إلى أعمق أعماق صدره:

ـ هذا موظف سابق في المطار، قام بالعمل لدينا بعض الوقت..

عقد (عصام) حاجبيه، وقال بعدم فهم:

ـ وما المشكلة؟!

قال (حسين) وهو يرتجف:

ـ هذا الموظف مات قبل عشر سنوات!

* * *

3

كان هناك توتر شديد جدًا في غرفة المراقبة، وقد جلس الجميع ينظرون إلى (عصام)، و(حسين)، الذي كان يحدق في الأرض، ويفكر بشدة، وقد ضمَ يديه بقوة..

كانوا جميعًا في غاية التركيز وغاية الشرود بنفس الوقت، وهم يحاولون فهم ما قال..

لكن شعور عدم الفهم كان هو سيد الموقف!

قال (طارق) بشكٍ:

ـ هل أنت متأكد؟! ربما التبس عليك الأمر، ربما هو مجرد تشابه بالشكل فقط لا غير!

قال (حسين):

ـ متأكد مائة بالمائة، قابلته عدة مرات وتناوشت معه؛ بسبب سوء تفاهم ما، نسيت لماذا، لكنني متأكد أنه هو..

قال (عصام) وهو يحاول قدر استطاعته السيطرة على هدوئه:

ـ مات منذ عشر سنوات، لكنه هنا في المطار اليوم؟!

وتنهد، وقال وهو يلوح بيديه:

ـ لم أفهم، لم أفهم، اشرح لنا لو سمحت!

أخذ (حسين) نفسًا عميقًا، وقال وهو يشير إلى الشاشة بينما عيناه تنتقلان بسرعة بين عيون الجميع، والذين غرقت ملامحهم بالاهتمام والفضول والقلق:

ـ قبل عشر سنوات كنت نائب مدير الملكية الأردنية، ووقتها جاءنا طلب توظيف بمهنة مساعد إداري، كان الطلب أكثر من عظيم، كمْ الخبرات التي عند صاحب الطلب كان هائلًا.. الشخص الذي قدّم طلب

الوظيفة اسمه (مازن صبري)، وهو الشخص نفسه بالفيديو..

قال (زيد) بفضول:

ـ وما الذي حدث؟!

قال (حسين):

ـ عمل معنا بشكل طبيعي دون أي مشكلات، كما كان يأتي مبكرًا وقبل بقية الموظفين أحيانًا، ويغادر المطار متأخرًا في أحيان أخرى، هو شخص لطيف ومتلزم بالعمل جدًا، لكن بدأنا نلاحظ عليه أنه رجل فضولي جدًا؛ فضولي بشكل غير معقول، أو منطقي..

قال (صافي) بلهجة متسائلة:

ـ فضولي؟!

قال (حسين) وهو يهزّ رأسه إيجابًا:

ـ نعم.. فضولي، كانت أسئلته عن كل شيء؛ الطائرات، الرحلات، الطيارين، الطواقم، الصيانة، حتى أنواع الوقود المستخدمة، وكان ملحًا بأسئلته إلى حد كبير، مما جعل الشك فيه أو نحوه يزيد؛ فكل أسئلته كانت بعيدة عن وظيفته، ربما قليلًا، أعلم، لكن لماذا كل هذه الأسئلة؟!

سأل (عصام):

ـ ولم تعرفوا سر فضوله؟!

صدمهم (حسين) بالجواب:

ـ لم نعرف، حتى بعد أن مات! لم نعرف لم كان فضوليًا حتى هذه الدرجة، ولم نعرف سبب قتله أيضًا!

انجذبت كل حواس (عصام) للكلمة، فعدّل جلسته بحركة سريعة

وحادة، وهو يسأل بعيون مفتوحة، وبدهشة شديدة:

ـ قتله؟! هل مات مقتولًا؟!

هز (حسين) رأسه بأسف:

ـ نعم، مات مقتولًا!

سأله (عصام) بسرعة:

ـ كيف؟! ما الذي حدث؟!

قال (حسين):

ـ أتانا اتصال وقتها، مفاده أن هناك جريمة قتل في المطار، ولما جئنا سريعًا مع الشرطة، كان (مازن) في مكتبه، يجلس في مقعده، وهناك رصاصة وسط جبينه، بينما الباب مغلق.

سأل (عبد الغفار) بتوتر، بينما (عصام) يستمع:

ـ رصاصة؟!

تمتم (حسين) ببطء، وهو يوجه الكلام مباشرة للرائد (عصام):

ـ نعم، والكاميرات لم تسجل شيئًا وقتها، لم نستطع أبدًا أن نعرف من الذي قتله أو لماذا؟ الرجل كان معنا لمدة أسبوعين فقط، وفي نهاية اليوم الرابع عشر مات برصاصة في رأسه بمكتبه في المطار، وبعد الكثير من التحقيقات تم تسجيل الجريمة ضد مجهول..

بدهشة قال (أيمن):

ـ هل هذا معقول؟! لم تجدوه على الإطلاق، مع كل تلك الكاميرات والتحقيقات؟!

قال (حسين) وهو يلتفت إليه:

ـ نعم، لم نعرفه رغم كل الجهود التي بذلناها، والتي تضاعفت لاحقًا

أيضًا دون جدوى، عندما مررنا بالجزء الثاني من لغز موت (مازن صبري)..

قال (عصام) وقد أشعلت الكلمة فضوله:

- لغز (مازن صبري)؟!

قال (حسين) وهو يسحب نفسًا جديدًا من سيجارته:

- هكذا أسمينا تلك الفترة، لغز (مازن صبري)؛ لأنه وبعد مرور يومين من إيجادنا جثته هنا، ونقلها إلى المشرحة للطبيب الشرعي،

لم يأت أحد ليقوم باستلام الجثة، كما أنه لم تكن هناك أي معلومات في سجله عن أهله أو أصدقائه؛ لا رقم هاتف، ولا بريد إلكتروني، ولا عنوان أيضًا، وليست هناك أي معلومات أسرية أو عائلية، لا أبوين، أو زوجة، أو أشقاء أو أولاد.. لا أحد، وكأن هذا الرجل وحيد تمامًا، وبعدها اختفت الجثة فجأة!

هتف (عبد الغفار):

- عفوًا؟!

قال (أيمن) بذهول:

- ماذا؟!

قال (حسين) متجاهلًا استغرابهما:

- تمت سرقة الجثة من ثلاجة المشرحة، ولم نعرف حتى الآن من أخذها، أو لماذا فعل هذا!

وسكت، وسحب نفسًا من سيجارته ثم تنهد بشدة، وعيون الجميع عليه وأولهم (عصام)، الذي استمر بالنظر إليه قليلًا، قبل أن ينهض، ويقول:

- رباه! ما تقوله هو أن هناك موظفًا سابقًا كان يعمل هنا قبل عشر

سنوات، وكان اسمه (مازن)، وكان فضوليًا جدًا بأسئلته، لكنه بعد أسبوعين مات برصاصة في رأسه، وما يزال سبب موته في مكتبه مجهولًا حتى هذه اللحظة، بعدها لم يأت أحد إلى المشرحة لاستلام الجثة، والتي اختفت أيضًا من هناك لسبب مجهول؟!

تمتم (حسين):

- نعم، تمامًا..

أكمل (عصام)، وكأنه لم يسمعه:

- .. وبعد عشر سنوات من لغز (مازن صبري) كما تقول، هذا هو (مازن صبري) بنفسه، أمامنا، حيّ يرزق؛ في المطار، وقد صعد إلى نفس الطائرة التي اختفت فجأة في الجو بوسيلة غامضة، ولسبب مجهول أيضًا!

هز (حسين) رأسه دون أن يقول شيئًا؛ فأكمل (عصام):

- ما علاقة (مازن) بكل العلماء الذين فيها؟! ولماذا يصعد إلى متنها وهو ميت؟! وكيف هو حي وأنت تقول إنه ميت؟!

وألقى بنفسه على مقعده، وقال:

- لست أفهم.. أشعر أنني لست أفهم شيئًا.. هل هناك أي تفسير منطقي لما يجري؟! هل تملكون أي شرح؟!

لم يجبه سوى الصمت المطبق؛ فرفع صوته أكثر:

- (زيد) و(صافي)؟! (أيمن)؟! (عبد الغفار)؟! أي أحد؟!

لم يجبه أحد..

كان الغموض قد سيطر على الغرفة كلها، ليس هناك من صوت إلا صوت تردد أنفاسهم، الشهيق والزفير..

كل ملامحهم حيرة، وقلق، وهناك ألف مليون علامة استفهام معلقة في

الهواء..

وأسئلة..

الكثير من الأسئلة..

الكثير الكثير من الأسئلة دون أي جواب!

فجأة، رن هاتف (عصام)، كان (طارق) هو الذي يتصل، رد عليه (عصام) وقال:

- نعم يا (طارق)..

جاءه صوت (طارق)، وهو يقول بتوتر وسرعة:

- نعم (عصام) بيك، هناك تطور مفاجئ جدًا، وقلت إنك يجب أن تعرفه فورًا، ويجب أن يسمعني السيد (حسين) أيضًا..

بحذر قال (عصام)، وهو يضغط زر مكبر الصوت بهاتفه:

- وهو؟!

قال (طارق) بوضوح، وبصوت مرتفع، على مسمع الجميع:

- قبل دقائق، وبالقرب من مركز أمن (ضاحية الرشيد)، أبلغنا الرجال هناك عن حضور شخص، ملابسه محترقة من عدة أماكن، وشعره متطاير وغير مرتب، ويتلعثم أثناء الحديث، وعندما تأكدنا من هويته أصبنا بصدمة شديدة جدًا يا (عصام) بيك..

توترت أعصاب الجميع بشكل كبير، بينما قال (عصام) وهو يضغط على الهاتف لدرجة أنه كان على وشك الكسر:

- ماذا؟! من هو يا (طارق)؟!

قال (طارق) ببطء وتوتر:

- (نادر عبد العزيز)، كابتن طائرة **RJ 1903** المخطوفة!

* * *

فتح (حسين) مدير الملكية الأردنية عينيه حتى الحد الأقصى، ولا إراديًا وقعت منه السيجارة على الأرض، حين رفع يديه إلى وجهه ليغطي فمه بكل دهشة وذهول..

كان الجميع بحالة ذهول!

قال (عصام) بصرامة وعصبية:

ـ ما الذي تقوله يا (طارق)؟!

سعل (طارق) مرتين، قبل أن يقول:

ـ لقد قاموا بالتأكد من هويته يا (عصام) بيك، هذا هو (نادر عبد العزيز) كابتن الطائرة، الذي من المفترض أن يكون الآن في الجو في طائرته، لكنه هناك في الداخل، مع بقية العناصر، في مركز أمن (ضاحية الرشيد) كما قلت لك..

تمالك (عصام) نفسه واستيقظ من دهشته، قبل أن ينهض سريعًا ويشير بيده إلى (زيد) و(صافي) من البحث الجنائي، وقال:

ـ تعالا معي، يجب أن نراه..

وأشار إلى (حسين) وقال:

ـ ابق هنا أو اذهب إن شئت، لكن ابق قريبًا.. إن احتجتك يا سيد (حسين) سأتكلم معك..

وقال مخاطبًا (طارق) الذي ما زال على الخط:

ـ سأذهب مع (زيد) و(صافي) بسرعة إلى المركز كي نراه، متى ستأتي أنت؟!

أجابه (طارق):

ـ ساعة يا (عصام) بيك ليس أكثر..

قال (عصام) بحزم:

ـ لا تتأخر..

وأنهى الاتصال، وغادر المكان معهما باتجاه السيارة، ركب فيها وانطلق مباشرة بها نحو مركز أمن (ضاحية الرشيد)، وهناك دوامة من الأسئلة في رأسه..

آلاف الأسئلة..

آلاف الأسئلة دون مبالغة!

(نادر عبد العزيز) هنا، وليس في الطائرة؟!

الكابتن (نادر عبد العزيز)، كابتن الطائرة RJ 1903 المخطوفة والمتجهة من عمان إلى (إسطنبول)، والتي على متنها ١٢٥ راكبًا، من ضمنهم مساعد إداري فضولي اسمه (مازن صبري)، مات منذ عشر سنوات برصاصة في رأسه؟!

ما هذا؟!

كيف ولماذا؟!

كيف ما يزال هنا؟!

لماذا لم يصعد على متن الطائرة؟!

هل من المعقول أنه هرب منها قبل يتم اختطافها؟!

هل صعد على متنها أم لا؟!

إذا قام بالصعود إليها، كيف نزل منها؟!

إن لم يصعد إليها، من الذي صعد إليها؟!

من يقودها الآن؟!

من يسيطر عليها الآن؟!

(مازن)؟!

هل من المعقول أن يكون (مازن)؟!

لا..

لأن هناك ١٢٥ راكبًا، بجانب الطيار ومساعده!

هل يعني هذا أن (مازن) ليس وحده، وأنّ هناك شخصًا آخر في الطائرة يساعده، بعد أن انتحل شخصية الطيار؟!

هل هو محترف لدرجة أنه أوهم الطاقم أنه الكابتن (نادر)، بينما (نادر) هنا، ولم يغادر (عمان)، ولم يذهب للمطار من الأساس؟!

هل هذا معقول؟!

كيف؟! ولماذا؟!

بقيت تلك الأسئلة تدور في رأسه إلى أن وصلوا إلى المركز، سألهم هناك عن كابتن الطائرة، وهناك قاموا بإرشاده إلى غرفة مدير المركز مباشرة، لأن (نادر) هناك..

صعد (عصام) الدرج بأقصى سرعة مع (زيد) و(صافي)..

هناك أسئلة كثيرة، ويجب أن يسأله عن كل شيء، كل شيء..

وصل إلى باب غرفة مدير المركز، والذي كان مفتوحًا على مصراعيه، وأمامه زحام..

لماذا دب الفضول فيهم جميعًا كي يروا (نادر)؟!

هل وصلتهم التفاصيل؟!

اقترب منهم وهو يزيحهم بخشونة إلى إن دخل الغرفة..

وشهق..

شهق من المفاجأة والصدمة غير المتوقعة..

على الإطلاق!

* * *

مرة، ومرتان، وثلاثة، رن هاتف (طارق) ولم ينتبه..

في المرة الرابعة انتبه، إنه الرائد (عصام)، يرن بإصرار..

وإلحاح..

ردَ، وقال بسرعة بلهجة فيها اعتذار وأسف:

- العفو منك (عصام) بيك، لم أنتبه على الهاتف، لكنني على وشك الوصول، و..

قاطعه (عصام) بقلق، وصوت متعب، ومتوتر جدًا:

- (طارق)..

بسرعة قال (طارق):

- نعم (عصام) بيك، تفضل، معك..

قال (عصام):

- لقد وصلت إلى المركز..

قال (طارق) بحذر، وهو يشعر أن هناك شيئًا سيئًا على وشك الحدوث، من تلك النبرة:

- و؟!

ألقى (عصام) بالمفاجأة الثقيلة:

ـ (نادر) مات!

سكت (طارق) من المفاجأة المزعجة، وظهرت على وجهه علامات الدهشة، وقال:

ـ ماذا؟!

قال (عصام) ببطء:

ـ مات (نادر) وتركنا عالقين بين كل هذه الأسئلة والألغاز دون حل، والمشكلة أننا لا نعرف سبب موته أيضًا، ليس هناك آثار لعنف في جسده، هناك فقط بعض آثار الحريق في ملابسه فقط، لكن ليس هناك آثار لأي ضربات أو رصاصات أو طعنات مثلًا، وهذا هو الغريب وغير المتوقع، ولكن..

باستعجال قال (طارق):

ـ ولكن ماذا يا (عصام) بيك؟!

قال (عصام):

ـ كان معه ورقة صغيرة في يده، ومكتوب فيها كلمة وحدة..

قال (طارق) بفضول هائل:

ـ كلمة؟! ما هي؟!

قال (عصام) ببطء:

ـ نوفاتيرا!

قال (طارق) بانفعال:

ـ يا إلهي! نفس الكلمة الغامضة تلك، التي قالها كابتن الطائرة قبل أن تختفي الطائرة عن شاشة الرادار!

قال (عصام) بنفس الانفعال:

- نفس الكلمة التي لم نعرف معناها، ولا استطعنا أن ندرك المقصود منها ومن تكرارها..

سأل (طارق) السؤال المنطقي:

- وهل حدثت أشياء أخرى؟!

قال (عصام) بسرعة:

- نعم، كان يشد على الورقة في يده بقوة، وأخبرني الرجال إنه استمر بقول كلمة أخرى، كررها أكثر من مرة، بينما جسده يرتجف، قبل أن تشرد عيناه، ويموت..

قال (طارق) بعصبية:

- ما هي الكلمة؟! نوفاتيرا أيضًا؟!

قال (عصام) نافيًا:

- زوجتي.. زوجتي.. زوجتي!

بدهشة شديدة قال (طارق):

- زوجته؟! هل من الممكن أن تكون زوجته في خطر؟!

سمع هنا صوت (عصام) وهو يفتح باب السيارة، وصوت محرك السيارة وهو يعمل، ثم صوت (عصام) وهو يقول:

- نعم، قال الكلمة وكررها عدة مرات وهو خائف، وكأنه يريد تنبيهنا لأجل شيء لم يسعفه الوقت كي يقوله، شعرت بالخطر في كلامه، ولذا اسمعني يا (طارق)، سأذهب إلى بيته الآن مباشرة مع (زيد) و(صافي)، وخلال دقيقة سيرسل لك أحدهما عنوان البيت، وسنلتقي هناك، تعال على الفور..

وأنهى المكالمة معه، ليزيد (طارق) من سرعة السيارة أكثر..

بنفس الوقت رنت (لَمَا) على (عصام)، رد عليها، وقال:

- نعم يا حبيبتي، معك، سأراك اليوم مساءً بإذن الله، أنا الآن مشغول جدًا، سأخبرك لاحقًا ما الأمر، أخبريهم أنني مشتاق لهم أيضًا، مع السلامة..

وأنهى الاتصال، ورن على (حسين) الذي رد عليه مباشرة:

- نعم يا سيد (حسين)، ذهبت إلى المركز، لكنني وصلت متأخرًا للأسف، نعم، مات (نادر)، كان ميتًا حين وصلنا، لا، لا يوجد آثار لتعذيب أو ما شابه على جسده، لكنه ذكر زوجته عدة مرات وبطريقة غريبة، نعم، الآن نحن في الطريق إلى بيته..

بنفس الوقت كان (زيد) و(صافي) يوجهان الرجال الآخرين، و(طارق) يتصل مع الأمن العام، وقد اتجه الجميع إلى بيت الطيار، (نادر عبد العزيز)..

عند باب البيت التقوا جميعًا..

بناية من عدة طوابق في شارع الجامعة الأردنية، وفيها من الأسفل صيدلية، وسوبر ماركت، ومحل خياطة..

كان هناك استغراب كبير بالشارع، عندما اصطفت كل السيارات بجانب بعضها البعض، الدودج السوداء التي يقودها (عصام)، والتي نزل منها مع (زيد) و(صافي)، سيارتا شرطة، سيارة (هونداي) حديثة، نزل منها (طارق)، وكلهم على ملامحهم قلق كبير، وجدية، وتوتر، وعصبية، رغم أنهم وفي داخل أعماق كل واحد منهم كانوا يستبعدون تمامًا أن يكون هناك أي خطر داخل البيت، لكن الحذر واجب، الحذر ضروري للغاية، هذا ما شدّد عليه الرائد (عصام) أكثر من مرة؛ لأن الطريقة التي لفت بها (نادر) أنظارهم تجاه هذا الأمر كانت مقلقة..

كان هناك العديد من الأشخاص، ومنهم واحد وزوجته وابنه الصغير، وبعض الأولاد، ورجال يقفون بالقرب من قهوة على الشارع، كلهم استغربوا من المنظر، وبالذات حين سحب الرجال مسدساتهم، وصعدوا إلى درج البناية، بسرعة..

قال الشاب الذي مع زوجته وابنه بلهجة واثقة:

- هم هنا على الأغلب، للقبض على أحد المطلوبين أمنيًا..

بنفس الوقت كان (عصام) و(طارق) والباقون قد صعدوا الدرج حتى وصلوا باب الشقة رقم ٨؛ في الطابق الرابع..

وقفوا عند الباب، تبادلوا النظرات قبل أن يرفع كل منهم مسدسه بحركة متحفزة، ويقترب (طارق) من الباب، وبإشارة حازمة من (عصام) اندفع بقوة نحو الباب، ليتحطم قفله، ويدخل المنزل وقد تبعه الجميع..

اندفع كل منهم نحو غرفة مختلفة، بينما أخذ (عصام) يلتقط أنفاسه وسط غرفة الجلوس وهو يتأمل الأثاث والسقف والجدران..

اقترب منه (طارق)، وقال:

- غرفة النوم، يا سيدي..

سار معه إلى غرفة النوم، حيث كان الجميع هناك..

كانت غرفة النوم نظيفة جدًا، وكان كل شيء في حالة مرتبة ومثالية، لولا الكرسي ذو الظهر الطويل الذي في وسط الغرفة تمامًا أمام المرآة، والذي كانت تجلس عليه فتاة؛ في منتصف العشرينات من عمرها، شعرها أسود، وترتدي بيجاما بيت عادية..

تبادل (عصام) و(طارق) النظرات المتوترة..

كانت المفاجأة أكبر من قدرة الموجودين على أن يقولوا أي كلمة، أو

حتى أن يتنفسوا!

كان كل شيء مثاليًا في الغرفة، والفتاة..

كل شيء كان مثاليًا..

لولا الرصاصة التي استقرت تمامًا..

.. في منتصف جبينها!

* * *

قال (طارق) بحدّة؛ فور أن أجاب (حسين) اتصاله:

- سيد (حسين)، أين أنت؟!

قال (حسين) وهو يدخن بالخارج، في الممر:

- خرجت من غرفة المراقبة قبل قليل، (طارق)..

قال (طارق) بتوتر:

- (عصام) بيك بجانبي، وهو يطلب منك أن تعود مباشرة إلى الداخل، عند (عبد الغفار) و(أيمن)، حالًا..

رمى (حسين) السيجارة، وعاد مباشرة للداخل، وهو يقول:

- حسنًا؛ فورًا..

حاول (طارق) أن يستحثه:

- بسرعة..

أعطى (حسين) الهاتف مباشرة لـ (عبد الغفار) الذي قال:

- آلو.. (عبد الغفار) معك، هل معي (طارق) بيك؟!

قال (طارق) وهو يناول الهاتف إلى (عصام):

- لحظة..

أمسك (عصام) الهاتف، وقال بصرامة حازمة:

- (عبد الغفار)، معك (عصام)، أريد منك أن تكون دقيقًا، وأن تخبرني عن وقت اختفاء الطائرة عن شاشة الرادار صباحًا؟!

جلس (عبد الغفار) أمام الشاشة، وعيناه تراقبان البيانات التي تتغير وهو يضغط على لوحة المفاتيح:

- لحظة.. لحظة! نعم، الساعة ٦:٢٥ دقيقة (عصام) بيك..

سكت (عصام) قليلًا قبل أن يقول:

- حسنًا، شكرًا لك..

قالها (عصام) وأنهى الاتصال بسرعة، وتبادل نظرة طويلة وعميقة مع (طارق)، قبل أن يعيد النظر في الورقة المطوية التي في يده من جديد، وكله دهشة، ممزوجة بخوف مجهول..

الورقة المطوية، التي انتبه (طارق) أنها كانت في يد الفتاة التي بالغرفة، والتي تسكن رأسها رصاصة..

الورقة المطوية لم تكن فارغة تمامًا، إذا كان فيها ثلاثة أرقام، وبترتيب مميز ومألوف جدًا، بعيد للغاية عن الصدفة بالتأكيد:

«٦:٢٥»

* * *

4

تعلقت عيون الجالسين بباب الغرفة الكبيرة التي يجلسون فيها، قبل أن يسمعوا صوت خطوات شخص يقترب من الباب، ويدخل منه هذا الشخص، ويلقي التحية عليهم..

نهضوا جميعًا، مرة واحدة، وقال الرائد (عصام):

ـ أهلا سيادة اللواء..

فتح اللواء (أكرم سمير) مدير إدارة البحث الجنائي أزرار معطفه بسرعة، وهز رأسه وهو يلقي نظرات سريعة ومتفحصة على الجميع، قبل أن يجلس..

(عصام) و(طارق) و(حمزة) من البحث الجنائي، و(حسين) مدير الملكية الأردنية، كلهم، كانوا يتأملونه برهبة..

شرب من كوب الماء الذي أمامه، وقال بصرامة وهو يشير لهم أن يجلسوا:

ـ أهلا بكم جميعًا، وشكرًا لحضوركم في هذه الساعة..

جلس كل منهم في مكانه، وهو يكمل:

ـ .. أعرف أنّ الوقت قد تجاوز التاسعة مساءً، ولكن كان لا بدّ أن نجلس كي نتحدث قليلًا، وبالذات مع اتصال السفير الأمريكي معي، قبل قليل..

قال (عصام) بدهشة:

ـ السفير الأمريكي؟!

هز اللواء (أكرم) رأسه وقال:

ـ نعم؛ لأنّ هناك نسبة لا بأس بها من ركاب الطائرة أمريكيين أو معهم جنسية أمريكية، والجنسية الأمريكية كما تعرفون تعني أن حاملها مواطن أمريكي، لهذا كان يستفسر ويسأل بقلق، وخصوصًا أن بعض أقارب الركاب بدأت أسئلتهم تزداد، ونحن نرغب بشدة أن لا يصل الأمر للإعلام؛ لأن هذا سيفتح معركة إعلامية نحن في غنى عنها الآن، يجب أن نركز أكثر على عملنا..

قال (حسين) وهو يشعل سيجارة:

- نعم، من الضروري جدًا أن يبقى الأمر طي الكتمان، معرفتهم بالأمر ستضرنا ولن تنفعنا..

وافقه اللواء (أكرم) بهزة من رأسه، قبل أن يتراجع بظهره قليلًا ويقول مخاطبًا (عصام):

- هل جاءكم تقرير الطب الشرعي بشأن زوجة الطيار؟!

التفت (عصام) إلى (طارق)، الذي قال وهو يناول اللواء (أكرم) ملفًا أخضر اللون، وفيه عدة أوراق:

- نعم، هذا هو، وصلنا قبل قليل.. يقول الطبيب الشرعي إنها (تمارا محسن)، زوجة الطيار (نادر عبد العزيز) فعلا، وعمرها ستة وعشرون سنة، وسبب الموت نزيف داخلي، بسبب الرصاصة التي اخترقت رأسها وفجرت دماغها..

سأله اللواء (أكرم) بانزعاج:

- هل هناك آثار لمقاومة أو شجار، أم أنها تعرف قاتلها؟!

قال (طارق):

- يبدو أنها حاولت مقاومته، لكن رصاصته كانت أسرع، يقول الطبيب الشرعي أيضًا؛ إنه تم تنظيف مكان الرصاصة بشكل جيد جدًا، قبل أن يجلس القاتل الجثة على المقعد، بالطريقة التي ستراها في الصور الفورية داخل الملف..

قلب اللواء (أكرم) صفحات الملف قليلًا، وقال:

- و(نادر عبد العزيز)؟!

قال (عصام) بحزم، مستلمًا دفة الحوار من (طارق):

- لا يوجد هناك سبب واضح لموته يا سيادة اللواء، لا يوجد أي آثار

لرصاصات أو طعنات أو حتى صدمات كهربائية؛ فقط هبوط بنبضات القلب أدى للوفاة.. يقول الطبيب الشرعي أيضًا إنه من المستحيل أن يكون بالطائرة المخطوفة، من المستحيل أن يكون قد استطاع الهبوط منها وهي في السماء..

قال اللواء (أكرم) وهو يرفع اصبعه ويشير للسماء:

ـ أليس هناك احتمال أن يكون قد استخدم مظلة؟!

قال (عصام) وهو يحرك سبابته نافيًا:

ـ لا نملك أي دليل يؤكد هذه المعلومة البعيدة عن التصديق، والاحتمال الأرجح الآن هو أنه لم يصعد على الطائرة أصلا، والذي يقود الطائرة شخص آخر، شخص استطاع أن يقنع الجميع أنه هو الكابتن (نادر)، بينما (نادر) هنا في الحقيقة..

مرت دقيقة صمت، قبل أن يقول اللواء (أكرم):

ـ ما كل هذا التسيب الأمني يا سيد (حسين)؟!

قال (حسين) بارتباك وحرج، وهو يحاول أن يسيطر على أعصابه، بعد أن سحب نفسًا طويلًا وعميقًا من سيجارته:

ـ نملك أحدث الأجهزة يا سيادة اللواء، ونحاول دائمًا أن نكون في الصدارة، وأن نستخدم آخر ما وصلت إليه التكنولوجيا في مجال الأمن والطيران، وكل ما له علاقة بمجالنا، لكن ما يحدث شيء غريب وعجيب جدًا، شيء غير معروف، وأكبر منا جميعًا، سواءً (نادر) الذي كان يجب أن يكون بالطائرة، بينما هو ليس فيها، أو الشخص الذي انتحل شخصيته، أو زوجته المقتولة، أو الورقة التي كانت في يدها، والتي تحمل رقمًا مطابقًا للحظة اختفاء الطائرة عن الرادار، أو حتى (مازن صبري) الذي كان موظفًا هنا، ومات منذ عشر سنوات، لكننا أيضًا رأينا تسجيلًا له هنا في المطار قبل إقلاع الطائرة، أو ذلك الـ..

فجأة سكت (حسين)؛ لأنّ وجه اللواء (أكرم) كان يحمل علامات الدهشة والذهول وعدم الفهم..

لم يكن يفهم ما الذي يقوله (حسين)!

في هذه اللحظة تبادل (حسين) و(عصام) نظرة متوترة، قبل أن يسحب (عصام) نفسًا عميقًا ويقول:

ـ نعم، هناك تفاصيل لم أستطع أن أقولها كلها لك يا سيادة اللواء، سأخبرك الآن بكل شيء..

وبدأ يخبره، بينما عينا اللواء مفتوحتين حتى آخرهما، وهو يستمع باهتمام وتركيز..

مرت دقائق عديدة و(عصام) يتكلم عن كل شيء، كل التفاصيل، وحاول أن يكون دقيقًا فعلا، وأن لا ينسى أي نقطة، ولم يقاطعه اللواء بأي كلمة، إلى أن انتهى..

كان اللواء على وشك أن يقول شيئًا، لولا جرس هاتف (طارق) المفاجئ والذي قاطعه..

قال (طارق) بلهفة:

ـ الطبيب الشرعي..

وأجاب الاتصال بينما ينظر إليه الجميع بلهفة، قبل أن تتغير ملامح وجهه تمامًا، ويقول وهو ينهي المكالمة:

ـ فحص الطبيب الشرعي الجثة مرة ثانية الآن، بعد أن شك لوهلة في أمر ما، عندما فحصها لأول مرة..

قال (عصام) بلهجة تستعجله:

ـ هل هناك شيء جديد بشأنها؟!

قال (طارق) وعيناه على اللواء (أكرم)، لأنه ينتظر ردة فعله؛ فما

سيقوله لم يخطر ببال أي منهم:

- يقول إن (تمارا) متوفية منذ يومين على الأقل، وإنه لا يعرف سبب بقاء جثتها بحالة جيدة، وكأنها متوفية منذ ساعات!

***

دخل (عصام) من باب البيت، واقتربت منه خطيبته (لَمَا)، احتضنته وأخذت منه الوردة الحمراء التي يحملها لها، وجذبته نحو الصالون، جلسا هناك قليلا، قبل أن يدخل والدها..

صافحه وجلسا يتبادلان أطراف الحديث قليلًا، شرب معه بعض القهوة، و(لَمَا) معهما بالطبع..

(لَمَا) التي كانت تعلم أن وجهه المبتسم يخفي كلامًا آخر!

هو هكذا..

منذ أن عرفته، وهي تعي جيدًا أن ملامحه عادة أقرب لقناع جامد، وأنه يستطيع إخفاء مشاعره بطريقة بتثير ذهولها، هي التي يطفو ما بقلبها على ملامحها مباشرة..

حين تجاهل اتصالاتها اليوم أكثر من مرة، كانت قد تأكدت أن هناك قصة مثيرة لا بدّ، وهناك شيء خطأ بالتأكيد، لا يفعل (عصام) هذا إلا إن كان شيئًا مزعجًا جدًا قد ألم به..

بعد نصف ساعة دخل والدها، لتذهب وتحضر له بعض الشاي، وتعطيه الكوب، وهي تسأله:

- والآن، ألن تخبرني بما الذي يحصل بالضبط؟!

تنهد وقال:

- العمل، تعبت جدًا في العمل اليوم..

وضعت يدها على كتفه، وقالت:

- لكن اليوم ليس كأي يوم آخر، هناك شيء آخر قد ابتلع تفكيرك كله، كل خلايا دماغك مشغولة بهذا الشيء الآخر، وأنا خطيبتك التي تعرفك أكثر منك، أرغب بأن أعرف، إن لم يكن سرًا بالطبع، سأحترم خصوصية عملك..

ابتسم بوجهها ابتسامة واسعة..

ابتسمت بدورها ابتسامة مماثلة، تمتلئ بالثقة؛ لأنها عرفت كل شيء عنه وعن تفكيره في هذين الشهرين..

وكما قال كل شيء للواء (أكرم)، أخبرها بكل التفاصيل، وكانت مذهولة طوال الوقت، وهي تستمع إليه..

عندما انتهى قالت:

- يا إلهي! هل حدث كل هذا اليوم؟!

أخذ شهيقًا، وأطلقه بزفير قوي، وقال:

- نعم، تخيلي! أشعر أنني لا أفهم شيئًا..

حدقت في عينيه قليلًا، ثم قالت:

- كيف ماتت (تمارا) منذ يومين، زوجة الطيار؟!

قال بعد أن شرب بعض الشاي:

- لا أدري، ما أدريه أن أحدًا قتلها منذ يومين، لكن جثتها بقيت بحالة جيدة، وبقيت معها بين أصابعها ورقة فيها توقيت اختفاء الطائرة أيضًا..

لم تقل أي كلمة وهي تفكّر؛ فأكمل وحده:

- أين كان زوجها بهذين اليومين؟! هل كان معها؟! هل لم يكن معها؟!

هل كان مخطوفًا وأطلقوا سراحه؟! من خطفه؟! ولماذا أطلقوا سراحه؟! هل قاموا بخطفه وقام هو بالهرب؟! إن قام بالهرب، فلماذا ذهب بعدها إلى المركز؟! لماذا يتم اختطافه أساسًا؟! ولو كان المقصود هو اختطافه فقط، لماذا قتلوا زوجته؟! لماذا قتلوها؟! لماذا لم يلقوا بجثتها بعيدًا؟! لماذا تركوا الجثة في البيت وتركوا الورقة في يدها؟! من الذي فعل كل هذه الأمور؟! ما كل هذا بالضبط؟!

وصمت بعدها، ولم تقل (لَمَا) أي كلمة..

كان من الواضح أن الأمر غامض للغاية، بشكل مستفز..

مخه مشغول بطريقة ليست طبيعية..

هذه أول مرة تراه بهذه الحالة من الحيرة والغضب!

سكتا قليلًا، وقد غرق كل منهما في أفكاره، قبل أن تقول:

- هل هناك احتمال، أن يكون هو الذي قتلها؟!

حدق فيها بدهشة..

هل من المعقول أن يكون (نادر) هو الذي قتلها؟!

معقول!

نعم، معقول..

هذا احتمال، لم يفكروا فيه، نهائيًا!

الذي حدث فعلًا، أنها ماتت منذ يومين، هذا ما يقوله تقرير الطب الشرعي بالطبع، وبعدها جاء (نادر) إلى المركز الأمني، وحدث ما حدث من غموض، زاد الغموض أكثر وأكثر!

لكن، هناك خلل في هذه النظرية، التي تحوله من ضحية إلى مشتبه به.. هناك خلل واضح..

لو كان هو من قتلها، من قتله؟!

من حرق ملابسه؟!

ما السبب الذي لأجله تم حرق الملابس؟!

لماذا يأتي ليقول (زوجتي) عدة مرات في المركز؟!

ما الذي يعنيه (هبوط في نبضات القلب) بالضبط؟!

هل بعد أن قتلها بيومين شاءت الصدفة أن يحدث هذا؟!

ما تفاصيل كل تلك الألغاز؟!

قال (عصام) وهو يشبك أصابع يديه:

- احتمال، هو مجرد احتمال يترك أمامنا العديد من الأسئلة، إن كان هو من قتلها فمن قتله؟! وكيف جاء إلى المركز ولماذا؟! بل كيف عرف أنها ميتة؟!

لم تجبه وهو تفكر معه، قبل أن تهز كتفيها بحيرة شديدة، وتنهض وهي تقول:

- سأقوم بصنع القهوة..

وبسرعة كانت في المطبخ، بينما عدل هو من جلسته وقد غرق في تفكير عميق، محاولا ربط كل الخيوط ببعضها البعض..

اللغز كبير!

وكلما مر المزيد من الوقت، تبرز العديد من الأسئلة، لتزيد الحيرة والقلق.. والغموض.. كثيرًا!

عادت (مها) وهي تحمل القهوة، أخذ منها الفنجان بشرود، وبنفس الوقت رن هاتفه، كان (طارق)..

- أرجو ألا تكون هذه كارثة جديدة!

قال هذه العبارة بصوت يملؤه التوتر والقلق، وشعرت (لَمَا) أنه ولا بدّ خائف من أن يكون هناك خبر جديد غامض، ليس له أهمية إلا أن يزيد علامات الاستفهام..

يكفيه كل تلك الأمور المعلقة، لتباغته تفاصيل أخرى؟!

- نعم يا (طارق)..

جاءه صوت (طارق) بنبرة عادية، جعلته يسترخي قليلًا، ويطمئن لأنه ليس هناك تفاصيل مفاجئة جديدة:

- نعم يا (عصام) بيك، جاءتنا اتصالات من عدة أشخاص، من أقارب الركاب، يقولون إنهم غدًا صباحًا سيزورون المطار..

تمتم (عصام) باضطراب:

- غدًا؟!

قال (طارق) بسرعة:

- نعم، غدًا الجمعة، سيحضرون للمطار؛ كي يستفسروا عن الطائرة وعن الرحلة، لا تنسى أننا لم نصدر أي بيان رسمي حول أي شيء حتى هذه اللحظة، وأن الطائرة لم تهبط في (إسطنبول)، الطائرة تضم أبناء لهم، وأشقاء، وأزواجًا، ومن الضروري أن نكون في المطار عند مجيئهم؛ لنحتوي المشكلة قبل أن تكبر..

سأله (عصام) ببطء:

- نحتويها؟!

قال (طارق) بنبرة حاول أن تكون هادئة:

- يجب أن نحتويهم، وأن نخبرهم إن الأمر سري، يجب أن يبقى بيننا، وألا يصل لأي مواقع إخبارية أو صفحات (فيسبوك) عامة، ثمة أشخاص سيلعبون في التفاصيل كثيرًا، بما لا يجلب أي خير أو فائدة

لنا، أنت تعلم هذا يا (عصام) بيك..

شرب (عصام) قليلًا من القهوة، وقال:

ـ سنقول لهم بعض التفاصيل التي ستبقي الأمر غامضًا، ولكنها ستشفي غليلهم قليلا، وسنخبرهم أننا نحاول الفهم كما يحاولون هم الفهم، وأننا نعمل بأقصى طاقتنا مع جميع أفراد القوات والعناصر البشرية كي نفهم، وأن عليهم الثقة بنا، وألا يقلقوا أبدًا؛ فنحن نولي هذا الأمر كل اهتمامنا..

ـ تمامًا يا (عصام) بيك، تمامًا..

وأنهى المكالمة معه، ليتبادل مع (لَمَا) النظرات..

هو يحاول إقناع نفسه أنهم سيفهمون ما حدث ويحدث، وأنهم سيعرفون كل شيء.. نعم..

لكن، هناك ذلك الإحساس الذي يلعب في صدره، أن ما هو آتٍ سيكون أكثر غموضًا مما مضى..

بكثير!

* * *

قرب أحد بوابات المطار، كان (طارق) يقف بجانب (حمزة) بانتظار (عصام)، الذي اقترب منهما، ثم قام بركن السيارة بالقرب من مكانهما تمامًا، ونزل منها بحركة سريعة، متجهًا إليهما..

ـ صباح الخير..

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحًا منذ دقائق، قالها وصافحهما، ومشوا، قبل أن يقول (حمزة):

ـ قبل قليل، كنا نقف مع (معاذ) من وزارة الاتصالات..

سأله (عصام):

ـ ما به؟!

قال (حمزة) وهو يشد من سرعته في المشي:

ـ يقول إنَ الترددات الكهرومغناطيسية، ليست فقط في مكان اختفاء الطائرة!

توقَف (عصام) فجأة:

ـ أين إذًا أيضًا؟! لا أفهمك!

رن هاتف (طارق) فجأة، كان (معاذ) هو الذي يتصل، أخذ (عصام) الهاتف منه وأجاب مباشرة:

ـ نعم يا (معاذ)، معك (عصام) وليس (طارق)، أهلًا بك، لقد أخبرني، نعم، أرجو منك أن تشرح لي بشكل أفضل.. ما الذي تقوله؟! هل هناك شيء آخر؟!

مرت دقائق ثم أنهى الاتصال، وقال:

ـ ما حدث، لم يحدث عندنا فقط!

قال (طارق) بدهشة:

ـ ما الذي يعنيه هذا؟!

قال (عصام):

ـ أخبرني (معاذ) إنه من باب التأكد والاطمئنان، قام بالاستعانة بقدرات العديد من الأقمار الصناعية، ليفحص نسبة الترددات الكهرومغناطيسية في الجو، ثم قارنها في العالم كله، منذ الأمس وحتى اليوم..

قال (طارق) بلهفة مشوبة بالقلق:

- وماذا؟!

قال (عصام):

- لقد اكتشف شيئًا مذهلًا!

سأله (حمزة) باستعجال:

- وما هو (عصام) بيك؟!

قال (عصام) وهناك توتر رهيب في وجهه:

- حدثت نفس الترددات في عدة أماكن حول العالم، ثلاثة أماكن بالتحديد، وبنفس القوة والسرعة والمقياس، ومن المستحيل أن يكون هذا قد حدث صدفة، لا بد أنه من فعل فاعل، مما جعله يجري البحث عن كل رحلات الطيران المتجهة في نفس خط سير هذه الترددات، واكتشف أنه بعيدًا عن الطائرة الأردنية المفقودة، هناك ثلاثة طائرات تركوا أثرًا لهذه الترددات؛ طائرة إسبانية، وطائرة روسية، وطائرة ألمانية..

سأل (طارق) بفضول هائل:

- وما الشيء المميز في هذه الطائرات الثلاثة؟!

قال (عصام) بتوتر:

- هناك علماء، عدد كبير منهم؛ في كل طائرة!

ارتسمت علامات الدهشة الهائلة على وجه (طارق)؛ فأكمل:

- نعم يا (طارق)، تمامًا كما في حالة الطائرة الأردنية المخطوفة RJ 1903! هناك عدد كبير من العلماء المهمين في كل المجالات؛ في الطائرات..

سأل (حمزة) بتردد، وهو يتمنى ألا يكون الجواب معقدًا:

- وهل حدث شيء بهذه الطائرات الثلاثة؟!

سكت (عصام) قليلًا، قبل أن يقول بنبرة مليئة بالضياع والقلق، وقد شحب وجهه:

- اختفت الطائرات الثلاثة أيضًا يا (حمزة)؛ في نفس التوقيت، الساعة ٦:٢٥ دقيقة، أمس، صباحًا!!

* * *

5

من خلف زجاج المكتب، كان الرائد (عصام) يراقب الملازم (طارق) والملازم (حمزة)، وقد وقف كل منهما مع بعض أقارب الركاب، محاولين أن يطمئنوهم، وأن يشرحوا لهم، ببعض التفاصيل التي لا تضر أحدًا، مع الإصرار أن يبقى الأمر طي الكتمان..

كان يجب أن يكون معهما ولكنه يحاول السيطرة على أعصابه، وتفكيره الذي كان يضغط على جانبي رأسه، وانزعاجه الذي كان هائلًا بسبب كل تلك الأسئلة..

أسئلة كثيرة..

وغموض كبير!

هذه المرة الأولى التي يعيش هذه المشاعر، إلى هذا الحدّ..

دائمًا ما تكون الأمور أسهل قليلًا، أو ربما منطقية أكثر، هناك مجرمون، سرقات، قتل، وحتى اغتصاب؛ لكن تفاصيل ما يحدث هذه المرة تختلف عن كل مرة، شيء محير للجميع..

رن هاتفه فجأة، كانت (لَمَا)، صوتها غارق في النعاس، وكأنها استيقظت للتوّ، تكلما قليلًا قبل أن ينهي المكالمة سريعًا؛ لأنّ اللواء (أكرم) مدير إدارة البحث الجنائي، كان يتصل عليه في هذا الصباح

الباكر الجميل، مباشرة، وشخصيًا..

قال بحزم:

ـ أسعد الله صباحك، سيدي..

أتاه صوت اللواء (أكرم)، الصارم الواثق:

ـ وصباحك يا (عصام)، هل هناك أي أخبار جديدة؟! هل تكلمتم مع الناس؟!

ألقى (عصام) نظرة جديدة على (طارق) و(حمزة)، قبل أن يأخذ نفسًا عميقًا، ويقول:

ـ نعم يا سيادة اللواء، ما زلنا نطمئنهم قدر استطاعتنا..

قال اللواء (أكرم):

ـ اتصل معي وزير الاتصالات قبل قليل، وأبلغني بما اكتشفه (معاذ)، كنت أنتظر هذا الخبر منك أنت يا (عصام)، أعتقد أن التواصل بيننا يجب أن يكون على مستوى أكبر، أليس كذلك؟!

قال (عصام) بحذر، وهو يحاول انتقاء كلماته:

ـ صحيح يا سيادة اللواء، لكنني لم أحب أن أزعج صباحك بهذه التفاصيل، كنت أريد إخبارك بعد ساعتين تقريبًا..

بنبرة غضب قال اللواء (أكرم):

ـ هذه تفاصيل مهمة وعالمية يا (عصام)، ما اكتشفه (معاذ) يقول بوضوح إننا لسنا أمام حالة معتادة، لسنا أمام طائرة أردنية مخطوفة فقط، لا، هناك ثلاث طائرات أخرى! إسبانية وروسية وألمانية أيضًا، أي أن هذا الأمر لا يتعلق بالشأن الأردني فحسب، بل بالعديد من دول العالم!

قال (عصام) بصوت يملؤه الإحراج:

ـ نعم، صحيح، أعتذر منك، كان ينبغي أن أتواصل معك مباشرة فور أن عرفت، ولكنني أحببت أن أتأكد قبل هذا، ولذا كنت على الهاتف قبل قليل، مع السفارات..

بدهشة سأله اللواء (أكرم):

ـ مع السفارات؟!

قال (عصام) بثقة:

ـ نعم، قمت بالتنسيق مع وزارة الخارجية، والذين سهلوا لي التواصل السريع والمباشر مع السفراء الأردنيين في (إسبانيا) و(روسيا) و(ألمانيا) قبل قليل، وبعد أن أجروا اتصالاتهم مع المخابرات والجيش أخبروني بدورهم إن ما يقوله (معاذ) صحيح تمامًا، وأنّ الطائرات مفقودة فعلًا، واستغربوا جدًا؛ لأن تفاصيل الأمر ما تزال قيد الكتمان، لم ينتشر الخبر بعد، وهذا هو المطلوب..

نبرة الغضب بصوت اللواء (أكرم) اختفت تمامًا، وكان من الواضح أنه سعيد مما تصرفه (عصام).. وقال:

ـ حسنًا، حسنًا.. من الضروري أن يكمل (معاذ) تحليلاته وتقاريره، ولو استطاع أن يتواصل مع بعض الخبراء من تلك الدول لا شك عندي أن هذا سيكون عظيمًا، ربما لو قارنوا النتائج ببعضها لوصلنا إلى حل معين، أو تفسير ما، كي نفهم ما يجري..

قال (عصام) وهو يبتسم:

ـ حسنًا يا سيادة اللواء، سأكلمه الآن مباشرة..

وأنهى المكالمة معه، ليتصل فورًا مع (معاذ)، ويبلغه بما يجب عليه أن يقوم به، وتفاجأ من أنّ (معاذ) كان يفكر بهذا الأمر، وكان على وشك أن يفعله..

جلس وهو يدخن، وما زال عقله يدور بقوة، عبر كل شيء، ولم تمر دقائق قبل أن يدخل الملازمان (طارق) و(حمزة)، ويغلقان الباب خلفهما..

قال الملازم (طارق) بحدّة وهو يجلس:

- إنهم غير طبيعين!

ابتسم (عصام)، وقال وهو يناول كلًا منهما سيجارة:

- هذا حقهم يا (طارق)، لا تنسى أننا نتحدث عن ابن هذا أو شقيقه في الطائرة، واختفاء الطائرات يعني السقوط أو الانفجار، أي كارثة جوية، أي أنها كارثة عائلية بالنسبة لكل واحد منهم، المهم الآن أن نسيطر على أعصابنا نحن؛ فالناس عـ..

فجأة رن هاتف الملازم (طارق) برنته المميزة؛ فالتفت (عصام) بحركة حادة، وبتر كلامه مباشرة..

اتصال هاتفي، لا يعني إلا المزيد من الغموض..

والأخبار المزعجة!

لكن، هل هناك أخبار سيئة، أكثر مما هم فيه الآن؟!

هل هناك طائرات أخرى مخطوفة؟!

رد (طارق)، وقال بحذر وهو يفتح مكبر الصوت:

- نعم..

أتاه صوت رجولي حاد:

- مرحبًا، معك الطبيب الشرعي من المشرحة..

قال (طارق) بتوتر:

- نعم يا دكتور..

سكت الدكتور قليلًا، قبل أن يقول وصوته يرتجف، وكأنه لا يصدق ما هو على وشك أن يقوله:

ـ أتصل بكم بشأن جثة الطيار وزوجته، (نادر) و(تمارا)؛ لأنَ ما حدث للتو هو شيء غير عادي، ويجب أن تكونوا عالمين به!

انشدت حواس (طارق) والجميع، وقال (عصام) بعصبية:

ـ هل حدث شيء للجثث؟!

أجابه الدكتور بعبارة قصيرة، جعلت الصمت يخيم على المكان كله، صمت أسود:

ـ لقد ذابتا! الجثتان!

* * *

لوهلة، لم يعلق أيَ منهم بكلمة..

هناك فقط، صدمة وحيرة؛ في وجوه الجميع!

قال الدكتور بعد أن شعر أن الاتصال قد انقطع:

ـ آلو.. آلو.. الملازم (طارق)؟! هل أنت معي؟!

قال (عصام) بعينين مفتوحتين حتى آخرهما:

ـ ما الذي تقوله؟!

وقال الملازم (طارق) بعدم فهم:

ـ هل أنت متأكد؟! ما الذي تقصده؟!

سعل الدكتور قبل ما يقول:

ـ الجثتان ذابتا تمامًا! عندما أتيت إلى المشرحة قبل قليل، ومعي جثة جديدة، انتبهت أنَ هناك خللا ما في جثة الطيار وزوجته، وقتها رأيت ما لم أتوقع رؤيته في حياتي، هذا شيء بشع! وبالذات أنني لم أجد له

أي تفسير..

قال الرائد (عصام) بشك:

ـ ما الذي تقصده بأن الجثتان ذابتا؟!

قال الدكتور بنبرة متوترة:

ـ ما أقصده أن اللحم قد اختلط بالعظم والدم والشعر، والملامح طبعًا، والملابس! هل تفهم؟! أمامي الآن كتلتان لزجتان مختلطتان، ولا تستطيع تمييز (تمارا) أو (نادر).. الكتلتان أشبه باللحم المفروم! هذا شيء غريب ومثير للقشعريرة حتى أقصى حد! سأرسل الآن صورة لكما، من أمامي مباشرة!

تمتم (عصام) بكلام غير مفهوم، ثم أنهى المكالمة، بنفس الوقت الذي وصلت الصورة عبر الواتساب، إلى هاتف (طارق)؛ ففتحها مباشرة، ليجد الصورة، المقززة للغاية..

معه حق هذا الرجل..

معه حق!

بأي منطق في العالم كله، تذوب جثتان، وتتحول كل واحدة منهما إلى كتلة لزجة؟!

كيف ولماذا؟!

كيف لجثث بشرية أن تذوب فجأة هكذا؟!

ـ الألغاز تزداد غرابة يا (عصام) بيك..

قالها (حمزة) وهو يفرك يديه بقوة بعد أن رأى الصورة بدوره، هو و(طارق)، بذهول وعدم تصديق..

نظر (عصام) إلى (حمزة)، وقال بضيق شديد:

ـ نعم، وكل لغز يكره أن يأتي وحده! يصرّ كل لغز أن يأتي معه ألغاز أخرى، كأن ما ينقصني الآن هو خبر الجثتين الذائبتين عند الطبيب الشرعي! ما الذي سأقوله للواء (أكرم) حين يتصل بي بعد قليل؟! هل أخبره أن الجثتين قد ذابتا؟! ما الذي سيقوله؟! ما الذي سيفهمه مني بالضبط؟!

قالها، ولمعت عيناه فجأة..

تذكر شيئًا كان غائبًا عنه..

أمسك هاتفه وقام بالاتصال مباشرة مع (أيمن)، المراقب:

ـ آلو.. نعم يا (أيمن)، هل وصلت المطار أنت وزميلك (عبد الغفار)؟!

ـ نعم، أنا في المطار..

ـ سنكون عندكم بعد دقائق..

وأنهى الاتصال ليطلب من (عصام) أن يتصل مع (حسين)، مدير الملكية الأردنية، كي يأتي مباشرة إلى غرفة قسم المراقبة، لا بدّ أنه موجود الآن، هذا حتمي، بالذات مع حالة الطائرة الأردنية المخطوفة، وكل التطورات الجديدة غير المحسوبة..

خلال دقائق؛ فعلًا، كان الرائد (عصام) هناك، عند المراقبين (أيمن) و(عبد الغفار)، وكان معه الملازم (طارق) والملازم (حمزة)، وبعدها انضم (حسين) مدير الملكية..

قال (أيمن) باهتمام:

ـ نعم يا (عصام) بيك، كلنا هنا الآن..

قال (عصام) محاولًا شرح الأمر كما حدث:

ـ رأى السيد (حسين) أمس شخصًا مشبوهًا عبر الكاميرات، واكتشف أنه (مازن) الذي كان يعمل هنا في المطار قبل عشر سنوات، رغم أنه

ميت ـكما تقول الروايات والأوراق الرسمية والشهود.. حسنًا، بما أننا نعرف الآن أن من يقود الطائرة هو ليس (نادر)، إذًا من كان يقودها؟! أي أن (نادر) لم يكن بالأعلى، بل هنا في الأسفل؛ لذا ما الذي حدث؟! أين اختفى؟! ومن قتل زوجته؟!

وأخذ نفسًا عميقًا، ثم أكمل:

ـ .. السؤال الأهم؛ لماذا ذابت جثته؟!

ارتفع حاجبا (حسين)، وفتح كل من (أيمن) و(عبد الغفار) عيناهما بدهشة كبيرة؛ فقال الملازم (طارق) موضحًا:

ـ اتصل معنا الطبيب الشرعي قبل قليل، ذابت جثة (نادر) وزوجته (تمارا)، ذابت الجثتان، وأصبحتا أشبه بكتل لزجة يختلط بها الدم مع اللحم والعظم..

كانوا يحدقون به بذهول!

أكمل الرائد (عصام) كلامه، وتجاهل النظرات المصعوقة:

ـ .. فما كنت أفكر به، كيف استطاع هذا الطيار أن يتجاوز إجراءات المطار كلها، وأن يقنع الجميع أنه (نادر)؟! لا يمكننا أن نتأكد من شيء إلا بعد رؤية الكاميرات بمعاونة (أيمن) و(عبد الغفار) بالطبع، وبحضور (حسين) مدير الملكية أيضًا، لنستعين بخبرته بمن يعرفهم هنا في المطار، لا ندري، ربما نكتشف شيئًا جديدًا على الشاشات، كما اكتشف أمر (مازن) أمس..

مشت أصابع (أيمن) و(عبد الغفار) على لوحة المفاتيح، وعيون الجميع تراقب الشاشات بلهفة..

فجأة مرت لقطة، يظهر فيها الطيار ومساعده، عرفوه فورًا أنه هو من الزي الرسمي، والطاقية البيضاء، التي عليها شعار الملكية الأردنية المعروف..

قام (أيمن) بتقريب الصورة من وجه الطيار، كما قربها من صورة (مازن) أمس، والتي كشفت ملامحه كلها بوضوح شديد..

لكن، كانت هذه المرة مختلفة..

لم يكن يظهر أي شيء من ملامح الطيار!

الوجه غير ظاهر، وتم التشويش عليه بفعل فاعل كي لا يظهر أي شيء من تفاصيله، تمامًا كما تظهر وجوه المجرمين في برامج التلفاز، حين يخضعون لاستجواب أو أسئلة ما..

لا توجد أي ملامح، لا توجد أي تفاصيل..

لا توجد أي علامات يستطيع المرء بها أن يعرف شيئًا!

الوجه مشوش بشكل متعمّد، بحيث أنه لو نظر أي شخص في الكاميرات، لن يعرف من هذا الشخص..

كي يبقى غامضًا ومجهول الهوية!

***

سحب (حسين) مدير الملكية نفسًا عميقًا من سيجارته، ثم أطلقه في الهواء، مع تنهيدة من صدره، وهو ينظر للجميع..

الملازم (حمزة)، الذي عقد ساعديه أمام صدره وكل وجهه حيرة، المراقبان (أيمن) و(عبد الغفار) وقد انشغل كل منهما بتقليب الكاميرات؛ في محاولة لرؤية أي أشخاص آخرين أو تفاصيل مثيرة للشكوك أو الشبهات، الملازم (طارق) الذي يجري بعض الاتصالات جانبًا، الرائد (عصام) الذي استرخى بمقعده، وقد زم شفتيه، وحدق بالحائط دون انفعالات على وجهه، وبدا وكأنه انفصل وأصبح في عالم آخر!

وكأنه غاب عن الوعي ثم نام وهو مستيقظ، حرفيًا..

كأنَ هذا ما كان ينقصه؛ أسئلة جديدة!

من هذا الشخص؟!

كيف عرف أن هناك أشخاصًا سيقومون بفتح الكاميرات، ولهذا قام بالتشويش على التصوير، وبطريقة مجهولة؟!

ما هي الأداة التي يحملها أو يستعملها، كي يصبح خفيًا عن الكاميرات هكذا؟!

من الجهة التي قد تفعل شيئًا غامضًا إلى هذا؟!

من ولماذا؟!

والأهم: كيف؟!

أنهى (طارق) مكالمته وهو يهز رأسه، ثم وضع الهاتف في جيبه وهو يقول، بعد أن جلس:

ـ هذا (معاذ) من وزارة الاتصالات، أخبرني أنه سيحضر بعد قليل، لن يطول انتظارنا..

هز (عصام) رأسه دون أن يعلّق، بينما قال (حسين) مدير الملكية بفضول واستخفاف:

ـ ما الذي قد يفعله؟!

قال الملازم (طارق) بثقة:

ـ سترى..

بنفس الوقت رن هاتف الرائد (عصام)، كان اللواء (أكرم) مدير إدارة البحث الجنائي هو الذي يتصل..

نهض وخرج من الغرفة بخطوات سريعة، وبكلمات مقتضبة تخللها مليون سؤال وسؤال؛ أخبره عن كل ما حدث، وعن بحيرة الحيرة التي

اتسعت من جديد، وعن (معاذ) الذي سيحضر بعد قليل كي يساعدهم..

قال اللواء (أكرم) بلهفة:

- هل من الممكن أن يعرف صاحب الوجه؟!

قال الرائد (عصام):

- سيحاول، الأمر ممكن وقابل للتحقيق لكنه ليس سهلًا أبدًا، ما يريحني نوعًا ما أن (معاذ) ليس شخصًا عاديًا، إنه خبير محترف لا يشق له غبار، وقد أثبت نفسه بقوة مع كل تلك التحليلات التي قام بعملها بنفسه دون أن يشير له أي شخص بفعلها، لذا لست أستبعد إطلاقًا منه أن يعرف من هذا الشخص الغامض، لا بدّ أن الموضوع فيه الكثير من القدرات البرمجية العالية، أو الكودات المعقدة، وحتى لو لم يعرف، لا شك أنه سيجد الحل أو الجواب عند شخص يعرفه..

وسكت، ثم سأل:

- هل سمعت عن نظام (كالي) يا سيادة اللواء؟!

بفضول قال اللواء (أكرم):

- (كالي)؟!

حاول (عصام) أن يشرح قليلا:

- النظام (كالي) هو النظام المفضل عند الكثير من المبرمجين والمخترقين، والذين يريدون تطوير الكثير من الأمور الغريبة في أعمالهم، نظام فيه إمكانات إلكترونية هائلة، ويعمل بطريقة معقدة وصعبة جدًا، حاولت مرة أن أفهمه دون جدوى، بل استغربت إنك كي تفتح ملفًا فيه، عليك أن تكتب عدة سطور برمجية! تخيل! بعكس (معاذ) تمامًا..

قال اللواء (أكرم) بأمل:

ـ هل يحترفه؟!

ابتسم (عصام) وقال:

ـ كما سمعت من (طارق)، هو من الخبراء المحترفين جدًا فيه، والنادرين على مستوى الشرق الأوسط كله، أرجو أن يحلّ كود التشويش وأن يرينا من هو هذا الشخص الذي انتحل شخصية (نادر عبد العزيز).. بصراحة يا سيادة اللواء؛ نحن نتوقع أنّ هذا الشخص الغامض قد استطاع إقناع المساعد والطاقم إنه (نادر) عن طريق قناع إلكتروني..

فاجأت الكلمة اللواء (أكرم)؛ لأنها ليست معتادة ولا مألوفة بالنسبة له إطلاقًا؛ فسأل:

ـ قناع إلكتروني؟! ما الذي تقصده؟!

قال (عصام) ببساطة:

ـ ما أعنيه أنه يرتدي أو يضع شيئًا ما، بوسيلة مجهولة، وهذا الشخص جعل كل من حوله يظنون أنه (نادر)، قناع إلكتروني متقن يتغير حسب انفعالات الشخص الذي يرتدي هذا الجهاز، شيء أشبه بفيديوهات التزييف العميق **Deep Fake**، ولكن بشكل مباشر وآني، وبنفس الوقت، هذا القناع الإلكتروني يقوم بعمل التشويش الذي يمنعنا من الرؤية..

قال اللواء (أكرم) بضيق، وبلهجة موحية بالخطر، وهناك رنين يتواصل من هاتف مكتبه الآخر:

ـ يبدو أننا نتعامل مع جهة غامضة جدًا، وعلى درجة عالية من التكنولوجيا، أرجو أن تبلغني بالتطورات أولًا بأول..

وأنهى الاتصال مباشرة قبل أن يخبره الرائد (عصام) عن الجثتين اللتين ذابتا، تمتم بينه وبين نفسه أنه سيخبره بعد قليل، أو عندما يحدث شيء جديد..

رجع (عصام) إلى الغرفة، كان (طارق) عند الباب وعلى وشك أن يخرج منه..

كانت ملامحه تقول إنه كان على وشك أن يناديه..

كانت ملامحه تعبر عن صدمة هائلة!

ألقى نظرة سريعة، على الجميع..

نفس الشيء..

كانوا جميعًا في تلك الحالة، من عدم التصديق..

دخل الغرفة وقال:

ـ ما بكم؟! ماذا يجري يا (طارق)؟!

قال (أيمن) وهو يشير إلى الشاشة:

ـ الطائرة..

سأل (عصام) بحدّة:

ـ أي طائرة؟! طائرتنا المخطوفة؟!

هز (عبد الغفار) رأسه؛ فسأل بلهفة وانفعال؛ فورًا:

ـ لا تقولوا إنها ظهرت!

هز (عبد الغفار) رأسه إيجابًا، وقال:

ـ ظهرت لمدة دقيقة واحدة فقط يا (عصام) بيك، وبعدها عادت لتختفي مباشرة، كما اختفت أول مرة!

سكت الرائد (عصام) لحظات، وهو يحاول أن يستوعب، ثم قال بدهشة كبيرة وذهول هائل:

ـ ظهرت لدقيقة واحدة فقط؟! متى؟! الآن؟!

قال (عبد الغفار):

ـ الآن، وأنت تتكلم في الخارج!

بعصبية هتف (عصام):

ـ لماذا لم يخبرني أحد؟!

زفر (عبد الغفار) زفرة طويلة وحارة من أعماق صدره، وقال:

ـ لأنها ظهرت في آخر مكان نتوقعه يا (عصام) بيك، وهذا ما جعلنا نتأخر بإخبارك قليلا، من هول المفاجأة!

قال (عصام) بانفعال:

ـ أين ظهرت؟!

قال (أيمن)، بقلق هائل:

ـ ظهرت لمدة دقيقة ثم اختفت مباشرة، من غير أي سبب منطقي، للظهور، أو الاختفاء..

قال (عصام) وهو يشعر أنه لا يفهم شيئًا:

ـ أين؟! أين ظهرت؟!

سأل السؤال، واتسعت عيناه بقوة، حين أجابه (عبد الغفار) بصوت يحمل كل توتر وحيرة العالم:

ـ ظهرت في (المكسيك)؛ فوق أهرامات (المايا) تمامًا، على بعد ١٢٧٠٠ كيلومتر من (عمّان)!!

* * *

6

كانت الحيرة قد سيطرت على الجميع في الغرفة..

كانوا في صدمة كبيرة، لأن كمية المفاجآت والأخبار التي تستمر بالتجدد كانت كبيرة..

فعليًا، كانت أكبر من قدرتهم على الاستيعاب..

والتصديق!

عندما اتصل (عصام) مع اللواء (أكرم) وأخبره بآخر ما عرفوه، كان في حالة لا تطاق من العصبية، وهو يصرخ:

ـ ما الذي تقصده بأن الجثتين قد ذابتا؟!

قال (عصام) وهو يحاول أن يمتص غضبه:

ـ دون سبب يا سيادة اللواء..

هتف اللواء (أكرم) في ثورة:

ـ ما الذي أفهمه من هذا؟!

أجابه (عصام) في ضيق:

ـ هذا ما قاله الدكتور الشرعي يا سيادة اللواء..

قال اللواء (أكرم) بصرامة:

ـ اتصل به مباشرة ليكمل الفحوصات الضرورية كاملة، أريد أن يفحص كل شيء، وأن يستعين بأطباء آخرين، وأن يطلب استشارة خبراء في علم الأحياء أيضًا، عليه أن يتعاون مع كل مختص قد يمنحه إجابة منطقية، من غير المعقول أن تذوب جثتان طبيعيتان فجأة، وأن يختلط اللحم بالدم والعظم يا (عصام)! هذا غير معقول! لا بد أن يكون هناك تفسيرًا ما، لا بدّ أن يفعل شيئًا، لا أعرف ما هو لكنني أعرف أنه

يجب أن يفعله!

قال الرائد (عصام) وهو يهز رأسه:

ـ حسنًا يا سيادة اللواء، سأتكلم معه بعد قليل، مع أنه أرسل لنا صورة مباشرة للجثتين، انظر..

قالها وأخرج هاتفه ليرى اللواء (أكرم) الصورة التي أرسلها (طارق) إليه مسبقًا، حدق فيها اللواء بدهشة هائلة، قبل أن يناوله الهاتف وهو يزفر زفرة حارة من أعماق صدره، ويقول بحيرة:

ـ ليس مهمًا، المهم أن يستشير آخرين، وأن نجد إجابة منطقية بانتظارها، بعيدًا عن الأمر الآخر الذي يوترني، هل تخبرني أيضًا أن الطائرة قد ظهرت فوق المكسيك لمدة دقيقة واحدة؟! هل عرف المراقبان أي شيء آخر؟! هل ظهرت معهما أي تفاصيل أخرى؟!

قال (عصام) بنفس الحيرة:

ـ أبدًا! فقط ظهرت لمدة دقيقة واحدة، وعادت بعدها لتختفي فوزًا يا سيادة اللواء، وحتى عندما ظهرت لم يكن هناك أي فعل موازي آخر، بقيت الاتصالات مقطوعة مع الطاقم..

صمت اللواء (أكرم) قليلًا، حك ذقنه وقال:

ـ غريب يا (عصام)، غريب..

وافقه (عصام) وقال:

ـ جدًا يا سيادة اللواء، ما يحدث غريب جدًا، وكلنا نشعر أننا لا نفهم شيئًا..

قال اللواء (أكرم) وهو يحاول أن يفهم ويحلّل:

ـ لماذا ظهرت فوق المكسيك بالذات؟! هنا هو السؤال! لماذا على بعد ١٢٧٠٠ كيلومتر من الأردن؟! ما الشيء الذي يوجد في المكسيك كي

تظهر الطائرة هناك لمدة دقيقة واحدة؟!

تمتم الرائد (عصام) بقلق:

- فوق أهرامات المايا يا سيادة اللواء!

بقلق مماثل سأل اللواء (أكرم):

- فوق أهرامات المايا؟!

قال (عصام) وهو يجد صعوبة في أن يكون منطقيًا:

- نعم يا سيادة اللواء؛ فوق أهرامات المايا تمامًا، وهذا الشيء الذي زاد اللغز حيرة أكثر وأكثر..

سأله اللواء (أكرم):

- كيف؟!

أخذ (عصام) نفسًا عميقًا، وقال:

- منذ البداية ونحن نتعامل مع شيء غير عادي.. وغير طبيعي، وهذا يعني أن علينا ألا نأخذ أي شيء بتفسير بسيط أو طبيعي.. ما أقوله إن الطيار ليس هو الطيار الذي مات في المركز بعد أن كان كلامه غامضًا عن زوجته، التي وجدنا أنها ميتة لاحقًا، بنفس الوقت هناك شخص ميت منذ عشر سنوات، لكن ليس ميتًا، بل هو من ركاب الطائرة المخطوفة، بعدها عرفنا أن الجثتان قد ذابتا، وأن هناك عدة طائرات مختفية وليست طائرة واحدة.. هذا كله يقودني إلى النقطة الأخيرة؛ ظهور الطائرة فوق أهرامات المايا لمدة دقيقة واحدة ليس شيئًا عبثيًا، هناك سر حتمًا!

وسكت بضع ثوان، ليردف بعد تنهد:

- .. هكذا صرت أفكر يا سيادة اللواء، منذ لحظة اختفاء الطائرة والأمر يزيد غموضًا، طوال الوقت..

تفهم اللواء (أكرم) وجهة النظر، وقال:

ـ حسنًا يا (عصام)، حسنًا، نريد أيضًا أن نعرف معنى تلك الكلمة الغامضة التي كررها الطيار مرتين..

تمتم (عصام) ببطء، وهو يضغط على حروف الكلمة:

ـ نوفاتيرا؟!

قال اللواء (أكرم) بجدية:

ـ نعم، نوفاتيرا.. حاولوا أن تجدوا معناها، اسألوا الخبراء في كل مجالات التقنية والتكنولوجيا، اسألوا عنها اللغويين، المهم أن نجد المعنى، من الممكن جدًا أن نصل لشيء إن عرفنا المعنى، أريدك أيضًا أن تخبر (معاذ) من وزارة الاتصالات أن يستعين بأي خبراء يعرفهم بشأن ظهور الطائرة المفاجئ، يجب أن يتم البحث في هذه الأمور كلها، ومن كل الجوانب، حتى الجغرافية والتاريخية أيضًا يا (عصام)، لا تدري أين تكون الإجابة، أو الحل..

قال (عصام) موافقًا إياه:

ـ بالتأكيد، سيأتي بعد قليل ومعه خبير آخر، ليحاولا معًا أن يكتشفا صاحب الوجه الغامض كما تعرف، سنطلب منهما أيضًا أن يحاولا معرفة سبب ظهور الطائرة المفاجئ كذلك..

ابتسم اللواء (أكرم) وقال:

ـ أخبرني بما يحدث أولًا بأول يا (عصام)، شكرًا لتواصلك معي لأنني أرغب بمعرفة كل شيء..

وأنهى المكالمة معه، ومخه يفكر..

رن على (لَمَا) مباشرة، وبعد أن تكلما قليلًا أخبرها بسرعة عن آخر التطورات وهو يحاول أن يتجاهل ذهولها، ثم قال بحزم واهتمام

شديدين:

ـ اسمعيني جيدًا، لا أريد أن أزيد حيرة (معاذ) ومن معه بأمر المايا، أنت درستِ التاريخ في الجامعة، وعلاقتك ممتازة مع مدرسيك كما أعرف، بما أنك تكملين الماجستير، صحيح؟!

قالت (لَمَا) بدهشة وفرح:

ـ هل تطلب مني أن أساعدك بالتحقيق؟!

ابتسم (عصام) لا إراديًا، وقال:

ـ طبعًا، اعتبري ما أطلبه منك تكليفًا من البحث الجنائي بشأن بحثك الحالي؛ فكري معنا بصوت مرتفع، عن كل ما يتعلق بشأن المايا، وأخبريني بكل ما تعرفينه، إن كان سيفيدنا..

وأنهى المكالمة بسرعة لأنه رأى الملازم (طارق) يخرج من الغرفة ليستقبل شابًا ملتحيًا يضع نظارات طبية، مشى الاثنان باتجاهه و(طارق) يقول:

ـ (عصام) بيك، أعرفك على (معاذ)..

ابتسم الرائد (عصام) وقال وهو يصافحه:

ـ أهلًا (معاذ).. شرفتنا بهذه القضية الغريبة التي دون حلّ..

عدل (معاذ) نظارته فوق أنفه، وقال:

ـ أهلا (عصام) بيك، لي الشرف، هل تسمحون لي؟! أريد أن أبدأ العمل فورًا..

ودخل الغرفة مباشرة، أخرج حاسوبه المحمول من حقيبة ظهره وبدأ العمل، اقترب منه الجميع، الرائد (عصام) والملازم (طارق) والملازم (حمزة) و(حسين) مدير الملكية، كلهم، يراقبون الشاشة بتدقيق دون أن يفهم أحدهم شيئًا..

الشاشة سوداء تمامًا، وعليها رموز وأرقام مختلفة..

- لا تتعبوا أنفسكم، لن تفهموا ما الذي أقوم بعمله، هذا نظام (كالي) الذي ما زلت حتى الآن أتعلمه كي أتقنه..

قالها (معاذ) بحرج وهو يحك أنفه، وعاد للوحة المفاتيح، بينما انشغل كل منهم بحديث جانبي، أو بهواتفهم..

مرّت أكثر من ربع ساعة قبل أن يقول (معاذ) بلهجة انتصار:

- حللت الكود!

قال (حسين) مباشرة، وعيون الجميع تحدق:

- أي كود؟!

قال (معاذ) وهو يضغط على الكثير من الأزرار:

- الكود البرمجي الذي استخدمته الجهة الغامضة، كي لا نرى الشخص الذي ينتحل شخصية الطيار (نادر).. النظرية صحيحة تمامًا، هذا الشخص يرتدي قناعًا إلكترونيًا، عبر أنبوبة ذكية مخفية بمهارة عند عنقه، وهناك شريحة عند حلقه تمامًا، تجعل صوته نسخة عن صوت (نادر) أيضًا، الأنبوبة تطلق أشعة هولوجرامية مجسمة تجعل شكله مثل شكل (نادر) تمامًا، نفس شكل الرأس والملامح والشعر وكل شيء.. أي أنّ كل من كان معه أو حوله كانوا يرون أمامهم (نادر) دون أدنى شك..

قال الملازم (حمزة) بحذر:

- أشعة هولوجرامية؟!

بتوتر قال (معاذ):

- هنا المشكلة، الهولوجرام تقنية متقدمة تكنولوجيًا وليست متاحة للعامة، كيف تأتى للشخص الذي ينتحل شخصية (نادر) أن يملكها بهذه

البساطة؟! لأنه ومن معه يفوقوننا تكنولوجيًا بشكل كبير جدًا، بما أنهم أيضًا قد استطاعوا أن يخطفوا عدة طائرات بنفس الوقت، وأن يخفوهم عن شاشة الرادار..

تمتم الملازم (طارق) وهو ينظر إلى الرائد (عصام) الغارق بتفكير عميق، يستمع للكلام دون تعليق:

- جميل، هذا جميل، لكن هل استطعت أن تعرف من هو هذا الشخص؟! من الذي ينتحل شخصية الطيار؟!

قال (معاذ) بظفر وهو يدير عينيه في عيون الجميع:

- نعم.. هذا هو..

بعدها ضغط أحد الأزرار في لوحة المفاتيح، وظهرت صورة على شاشة الحاسوب المحمول..

الشخص الذي ظهرت ملامحه كان شخصًا ممتلئ الوجه قليلًا، شعره مجعد، لونه أسود أو بني، ولحيته كثة بعض الشيء، وله عينان صغيرتان حادتان..

لم تكن ملامحه تمثل أي شيء بنظر أي منهم؛ إلا (حسين)!

(حسين) الذي حك ذقنه وهو يقترب من الشاشة، ويتمتم:

- أشعر أنني رأيته في مكان ما!

صمتوا جميعًا وهم ينظرون إليه، وقد عقد حاجبيه في محاولة للتذكر، قبل تلمع عيناه، ويمسك هاتفه ليجري اتصالًا:

- آلو، (زكريا)، هل تعرف الصورة التي أمام مكتبي تمامًا، والتي فيها صور مدراء الملكية الأردنية السابقين؟! نعم، قم بتصويرها فورًا وإرسالها على عبر واتساب، نعم، الآن، الآن..

مرت دقيقة عليهم جميعا كأنها دهر كامل، ثمّ رنّ هاتف (حسين) بذلك

الصوت المميز لرسائل اواتساب..

فتح الرسالة ثم الصورة..

وانقلبت ملامح وجهه!

قام بتكبير الصورة بأصابعه على جزء من الصورة، وقال وهو يدير الهاتف نحوهم، ليروا الصورة:

ـ أليس هذا هو الشخص الذي ينتحل شخصية (نادر)؟!

نظروا إلى الشاشة بدهشة هائلة..

نعم، هو نفسه، بما لا يترك مجالا الشك..

كان مكتوبًا تحت الصورة: (عبد الله خليفة)..

لكن؛ هذا يعني أنه أحد مدراء الملكية الأردنية..

السابقين!

قال (حسين) بصوت مختنق وهو ينظر إلى (عصام) بتوتر:

ـ هذا الشخص كان مدير الملكية الأردنية قبل عشرين سنة يا (عصام) بيك.. وأيضًا مات بنفس طريقة موت (مازن صبري)، الذي تم قتله قبل عشر سنوات!

تحفز (عصام) بشدة، وقال بعصبية:

ـ ما الذي تقوله يا سيد (حسين)؟! ولماذا لم تقل لنا هذا عندما أخبرتنا عن (مازن صبري)؟!

قال (حسين) بتوتر هائل وهو يضرب بيده على جبهته:

ـ هذا المدير مات قبل عشرين سنة، برصاصة في رأسه، وبعد موته بيومين اختفت جثته دون أثر!

* * *

بعد أن مرّ بعض الوقت، وقد غرق كل منهم في خواطره في محاولة لاستيعاب الأمر من كل جوانبه، دون جدوى، قال الملازم (طارق) وقد عقد حاجبيه بشدة، محاولا فهم الأمر:

- هذا يعني أن هناك اثنان من الموتى، وقد عادا للحياة، أحدهم كان مديرًا للملكية الأردنية، لكنه مات منذ عشرين سنة، والآخر كان مساعدا إداريًا بالملكية الأردنية، لكنه مات منذ عشرة سنوات!

قال الملازم (حمزة) وهو يشير بسبابته:

- والميّتان، حيّان، على نفس الطيارة المخطوفة!

قال الرائد (عصام) فجأة مخاطبًا (حسين):

- ألم يثر الأمر الشكوك؟! ألم يتساءل رجل واحد على الأقل عن التشابه بين الجريمتين؟!

قال (حسين) وهو يميل برأسه:

- طبعًا، ولكنه كان اهتمام مؤقت، واختفى سريعًا بعد تدخل جهات عليا لإنهاء التحقيقات حول الأمر دون إثارة أي نوع من الأسئلة، من أي جهة..

تنهد الملازم (طارق)، وقال بعد أن أطلق زفرة عميقة:

- ما كلّ هذا الغموض؟!

قال الملازم (حمزة):

- لماذا الفرق هو عشر سنوات تمامًا بين كل مرة والأخرى؟! الأول قبل عشرين سنة والآخر قبل عشر سنوات، لماذا؟! ما سرّ هذا الفرق الزمني؟!

ساد الصمت قليلًا، بينما أخذ كل منهم يتأمل..

فعلًا!

عشر سنوات بين كل مرة، والمرة التي بعدها..

لماذا؟!

فجأة نهض الرائد (عصام) وقال بحزم:

- بسرعة يا (أيمن)، أريد أن تراجع السجلات كاملة، ادخل إلى الأرشيف الأمني كي تعرف متى قتل (عبد الله خليفة) مدير الملكية بالضبط؟! ومتى قتل (مازن صبري) المساعد الإداري قبل عشر سنوات أيضًا؟!

أسرع (أيمن) يعمل ويضغط الأزرار على لوحة المفاتيح، بينما يقترب منه الرائد (عصام) ويردف بجدية:

- .. أريد تاريخًا دقيقًا، باليوم والشهر والسنة..

نظر الجميع إلى الشاشة، بترقب كبير واضح في عيونهم، و(أيمن) يبحث، قبل أن يقول فجأة:

- (عبد الله خليفة) مات في ١٣/٢/٢٠٠١، أي أنّ هذا قبل عشرين سنة تمامًا، بما أن تاريخ أمس هو ١٣/٢ و.. لحظة! حتى (مازن صبري)! يا إلهي! لقد مات قبل عشر سنوات أيضًا! في ١٣/٢/٢٠١١ تمامًا! أوف! أوف! عشر سنوات تمامًا مرت بين قتل الأول والثاني واختفائهم، وها نحن اليوم في عام ٢٠٢١! وهاد قد مر نفس التاريخ أمس، هذا يعني أن الدورة المجهولة تتكرر من جديد، لكن كما يبدو للجميع فهناك الكثير من التفاصيل الأوسع، والتي لم تحدث من قبل، بغموض أشدّ، ما هذا يا (عصام) بيك؟! ما الذي يحدث بالضبط؟!

لم يعلّق الرائد (عصام) لأنه كان يفكر..

مات الأول قبل عشرين سنة تمامًا، برصاصة في رأسه!

مات الثاني قبل عشر سنين تمامًا، وأيضًا برصاصة في رأسه!

لماذا ماتوا؟!

من قتلهم هكذا ليختطف أجسادهم بعدها؟!

ولماذا برصاصة في الرأس؟!

ولماذا يكون الفرق هو عشر سنوات بالتمام والكمال، بين موت الأول والثاني؟!

من الجهة التي تقف وراء ما حدث وما هدفها؟!

وكيف بعد كل هذا الموت يعودان للحياة وكأنهما لم يموتا؟!

قطع حبل أفكاره اتصال اللواء (أكرم)، بضيق وانزعاج شديد تنهّد، ضغط زر إجابة الاتصال وهو يخرج من الغرفة..

قال (معاذ) وهو يضرب كفًا بكفّ:

- ما يحدث، هو أغرب شيء أعيشه في حياتي..

قال (حسين) بنبرة فيها قلق كبير:

- وأنا أيضًا، لم أتخيّل أن يحدث شيء كهذا على الإطلاق، ولم أفكر يومًا بأي شيء يجمع بين (عبد الله) و(مازن)؛ لأنه لم يكن هناك شيء يربط بينهما من الأساس، لا توجد شكوك حول أيّ منهما، ومرّ الأمر وأصبح في طيّ النسيان..

قال الملازم (طارق) للخبير (معاذ)، وهو ينظر إلى الرائد (عصام) المنهمك بالشرح للواء (أكرم)، والذي كما هو واضح لم يكن يستقبل هذه التفاصيل ببساطة:

هل تواصلت مع الدول الأخرى بشأن الطائرات المفقودة؟!

هز (معاذ) رأسه يمينًا ويسارً ببطء:

- لا، ليس بعد..

قال الملازم (طارق):

- أجرِ اتصالاتك، حاول أن تجد روابط مشتركة بين ما حدث عندنا وعندهم، لعلنا نجد شيئًا، أو أيّ طرف للخيط..

بنفس اللحظة دخل الرائد (عصام) وقال مباشرة:

- كنت أتكلم مع خطيبتي، (لَمَا)..

قالها؛ فارتسمت ملامح عدم الفهم على وجوههم كلهم؛ فقال بصوت حاول أن يكون واضحًا وهادئًا:

- .. تخصصها هو التاريخ، وتجمعها علاقة جيدة جدًا مع أساتذتها سواء بالتاريخ أو الجغرافيا، وأخبرتها أن تبحث معي بطريقتها حول أمر الطائرة وظهورها فوق المكسيك..

وجلس في مقعده، ثم قال وهو ينظر لعيونهم المليئة بالتساؤل:

- .. الأمر غريب جدًا؛ لذا لا بدّ أن نحاول رؤيته من كل الزوايا والاتجاهات، وكما كان حواري يدور مع اللواء (أكرم) قبل قليل أكرر لكم نفس الأمر، لا يوجد شيء من قبيل الصدفة فيما يحدث، لا يجب أن نأخذ أي شيء ببساطة..

قال الملازم (طارق) بلهفة:

- وما الذي طلبته منها يا (عصام) بيك؟!

سحب الرائد (عصام) نفسًا عميقًا من سيجارته، وقال:

- طلبت منها أن تبحث بشأن كل الاحتمالات بما يتعلّق بأمر المكسيك، هناك سؤال قوي وهو: لماذا فوق أهرامات المايا بالذات؟! هذه حضارة قديمة، وهناك الكثير من التسجيلات الوثائقية والتحليلات المتعلقة بها

في الإنترنت واليوتيوب؛ عندهم أهرام شبيهة بالأهرامات المصرية، سواء من دقة اتجاهات زوايا الهرم، أو تشابهها مع أشياء فلكية دقيقة، لديهم بعض التوقعات العجيبة أحيانًا، لديهم رسومات لأشخاص يركبون في آلات غريبة الشكل، وهم يرتدون خوذات فضائية وأقنعة تنفس أيضًا، وهذا كله بعيدًا عن الطائرات الذهبية!

تمتم الملازم (حمزة) باستغراب:

ـ طائرات ذهبية؟!

قال الرائد (عصام) شارحًا:

ـ إن بحثت في يوتيوب الآن، ستجد عدة فيديوهات عن نماذج مصنوعة من الذهب الخالص، تم العثور عليها بالقرب من أهرامات المايا، المشكلة أنها مطابقة جدًا للطائرات الحالية! هذا شيء غريب، ولا يتوقعه أحد من حضارة مندثرة..

قال مدير الملكية (حسين) وهو يرفع حاجبيه للأعلى:

ـ غريب للغاية..

وافقه الرائد (عصام) بهزة رأس خفيفة، ثم قال:

ـ نعم، لكن الأغرب منه هو ما قالته لي (لَمَا)، حيث إنها أخبرتني عن سؤالها واستفسارها من البعض عن طبيعة ما نتعامل معه، دون أن تعطيهم الكثير من التفاصيل..

قال الملازم (طارق) بفضول:

ـ ماذا؟!

ابتلع الرائد (عصام) ريقه وقال ببطء:

ـ أخبروها إنه بالأمس، كان موعد ظهور القمر الأحمر العملاق فوق (المكسيك)! وهذا الظهور لا يُرى بهذا الحجم إلا فوق (المكسيك)

و(مصر) فقط! هذه النقطة محيرة للغاية؛ لأنها غامضة للغاية، لا يمكنك أن ترى القمر عملاقًا وأحمر اللون حتى هذا الحدّ إلا من هناك، ولكن.. الغموض ليس هنا فقط..

قال الملازم (طارق) بدهشة:

ـ ليس هنا؟! أين إذًا؟!

قال الرائد (عصام) وهو يضغط على كلّ حرف من كل كلمة:

ـ لا تحدث هذه الظاهرة إلاّ مرة واحدة، كل عشر سنوات!

* * *

كمية تساؤل غير عادية..

كمية قلق، ورهبة، وتوتر، تتجاوز أي حدّ..

والذهول، كان قد فرض نفسه بقوة هائلة على الجميع، بعد عبارة الرائد (عصام) الأخيرة..

قال الملازم (طارق) وهو يعدل جلسته، محاولًا أن يسترخي:

ـ هذا الخبر، يقول الكثير من الأشياء..

قال الملازم (حمزة) بانفعال:

ـ هذا يعني أنّ اختفاء الطائرة مرتبط بظهور القمر العملاق فوق أهرامات المايا، وبنفس الوقت هذا القمر مرتبط بموت المساعد الإداري (مازن صبري) قبل عشرة سنوات حين ظهر، وأيضًا مرتبط بموت (عبد الله خليفة) قبل عشرين سنة! كل شيء مرتبط بطريقة غريبة، وليست منطقية، بنفس الوقت..

قال الرائد (عصام)، بنبرة حاول أن تكون هادئة:

ـ منطقيًا ومن بعيد، لا يوجد شيء يربط أي شيء بأي شيء آخر..

هذه هي المشكلة..

غمغم الملازم (حمزة) وهو يفكر:

ـ صحيح، لكن التفسيرات ستظهر لك بشكل أوضح، حتى وإن كانت ناقصة، عندما تقترب أكثر وأكثر من كل شيء..

قال الملازم (طارق) باهتمام:

ـ لو لم تظهر الطائرة فوق المكسيك لمدة دقيقة واحدة، لم نكن سنعرف أنَ القمر العملاق يظهر مرة واحدة كل عشر سنوات، وأنَ هذا الأمر مرتبط بموت (مازن) و(عبد الله)..

سأله الملازم (حمزة):

ـ هل من المعقول أن يكون صدفة؟!

صمت الملازم (طارق) قليلًا، ثم قال:

ـ كل شيء معقول إلا الصدفة! كل ما يحدث هو بفعل فاعل! هناك شخص أو جهة ما قامت بقتل (مازن) و(عبد الله) بنفس موعد ظهور القمر العملاق، لكنهما حيان رغم أنَ الحقائق تقول إنهما مقتولان! هما حيان، وفي المطار، وفي الطائرة التي اختفت أيضًا بنفس وقت ظهور القمر العملاق!

تمتم الملازم (حمزة) بعد أن تنهد:

ـ كل شيء مرتبط بطريقة مذهلة، و..

فجأة سمعوا صوتًا!

من الخارج، بالأسفل، هناك في قاعة الانتظار الرئيسية، سمعوا صوت ضجة، هناك أشخاص يتكلمون بصوت مرتفع، وثمة صراخ، وكأنما هناك مشاجرة..

اندفعوا بسرعة خارج الغرفة، كان هناك بعض أهالي ركاب الطائرة،

كانوا بحالة عصبية شديدة جدًا، هناك حالة من الثورة والهياج غير المنطقي، يبدو أنه قد حدث شيء مزعج أو مفاجئ أو غير منطقي بالنسبة لهم..

بسرعة توجه الرائد (عصام) والملازم (طارق) والملازم (حمزة) نحوهم، وقال الرائد (عصام) وهو يحاول طمأنتهم:

- أرجو منكم الهدوء، لا يوجد أي داع للصوت المرتفع..

أحد الواقفين، رجل عجوز، شعره أبيض، قال:

- كنا نريد الوصول لأي منكم، لكنهم كانوا يمنعوننا دون فهم، يجب أن تروا هذا الشيء الغريب..

نبرة صوته وملامحه كانت كلها دهشة وذهول..

ذهول!

أكثر بكثير من الغضب..

لم يكن غاضبًا بقدر ما كان مذهولًا، وكأنه يملك شيئًا أو معلومة ويريد أن يقولها لهم..

أشار الرائد (عصام) بيديه للضباط والشرطة الذين يمنعون الأهالي من الاقتراب، وتساءل بفضول كبير:

- ماذا هناك؟! ما الذي يجب أن نراه؟!

قال العجوز وهو يشير إلى بعض الواقفين معه:

- هذا الشيء، عندي، وعند الحاج (ياسر) هناك، وهند هاتين الفتاتين، وذلك الرجل أيضًا، أي أنه عندنا كلنا..

بفضول هائل قال الرائد (عصام) وهو يقترب منه:

- عن ماذا تتحدث؟!

بقلق وارتباك وعدم فهم، قال العجوز:

ـ عندما تقوم بفتح محادثات الواتساب، عند رقم ابني، أو عند شقيق هذا الرجل، أو شقيقة الفتاتين، ستجد هذا الشيء الذي صدمنا بقوة..

وأعطاه هاتفه، بينما فتح بقية الواقفين على محادثاتهم الأخيرة مع أقاربهم الذي في الطائرة، ليروا المكتوب على الشاشة..

عيونه مباشرة نظرت إلى المكان الذي يظهر فيه توقيت آخر ظهور لأولئك المفقودين، الذين في الطائرة..

شهق الرائد (عصام) من الصدمة..

لأن ما يراه بوضوح أنهم متصلون عبر الإنترنت!

في هذه اللحظة..

تمامًا..

جميعهم أونلاين!!

***

7

خرج الطبيب الشرعي من دورة المياه بعد أن غسل يديه ووجهه، ذهب للمطبخ وأعدّ كوبًا من الشاي، وعاد فيه للمشرحة، وبعد أول رشفة توقف، وحدق بالجثتين..

جثة (نادر) و(تمارا)!

كان الأمر بالنسبة له محيرًا جدًا، جدًا..

وصلته الجثتان معًا، وقد كان (نادر) ميتًا بسبب هبوط في ضربات القلب، ولكن ليس هناك أي آثار لضربات أو رصاصات أو طعنات في جسده..

فقط كانت هناك آثار الحروق في ملابسه، بعدة أماكن، ورغم أنه حاول أن يعرف سبب الحريق لكنه لم يعرف..

غموض كبير!

بعد هذا وحين رأى جثة (تمارا) زاد استغرابه، أيضًا لا يوجد هناك أي آثار للمقاومة؛ فقط تلك الرصاصة التي في رأسها، والتي كان أحدهم قد نظف ثقبه جيدًا..

لم يكن يملك الطبيب الشرعي تفاصيل كبيرة عن الجثث، وعن تاريخهم، وبالذات حين كان يريد إدخال جثة جديدة، وفوجئ أنَ الجثتين قد ذابتا..

كان مشهدًا بشعًا لم يتوقعه!

رغم خبرته الكبيرة، ورغم أنه عاين مئات الجثث، كانت هذه هي المرة الأولى له، المرة الأولى التي يرى فيها شيئًا غامضًا هكذا، حيث ذابتا بشكل غريب، وأصبحت كل جثة كتلة لزجة مقرفة، اختلط فيها اللحم والدم والعظم بطريقة غير طبيعية..

لولا بقايا الملابس، لما استطاع تمييز كل كتلة لحمية مفرومة، إن كانت تعود لـ (نادر) أو (تمارا)..

جلس وشرب المزيد من الشاي، اقترب وفتح باب الثلاجة كي يلقي نظرة على الجثتين، لكن..

شهق من قوة المفاجأة..

بداخل الثلاجة كانت تنتظره مفاجأة..

جديدة..

.. وصادمة!

***

كان من الواضح على وجه الرائد (عصام) والملازم (طارق) والملازم (حمزة) حجم الصدمة، والذهول..

أمامهم العجوز، والفتاتان، والرجل، وبقية الأهالي الذين حضروا، والذين حدقوا بالشاشات دون فهم..

ابن العجوز الذي في الطائرة، ها هو في الواتساب..

أونلاين!

كل الواقفين لهم أقارب في الطائرة، وكلهم في الواتساب، أونلاين، وبشكل يتجاوز العقل والمنطق..

تبادل الرائد (عصام) نظرة مع الملازمين، وقال للعجوز بينما الكلام موجه للجميع:

- منذ متى حدث هذا؟!

بتوتر قال العجوز وعيناه على الشاشة:

- قبل قليل، دخلت كي أرى إن كانت رسائلي قد وصلته، والغريب أنها وصلته!

فوجئ الرائد (عصام)، ثم قال بدهشة:

- وصلته رسائلك؟!

هز العجوز رأسه، ووافقه بقية الواقفين:

- نعم، هو متصل الآن، أونلاين، والجميع كذلك، ويمكنك الآن أن ترسل أي رسالة، وسيقرؤونها!

نزل الرائد (عصام) بعينيه، ورأى الكثير من الرسائل التي قام العجوز بإرسالها، وكل الرسائل بجانبها تلك الإشارة المعروفة..

علامتا صح، لونهما أزرق!

وهذا يعني أنه متصل فعلًا، وأن الرسائل وصلته..

استلم الرسائل، وقرأها أيضًا!

لكن، لماذا يرفض الرد والتواصل مع والده؟!

- هل ردَ أيّ منهم عليكم؟!

حوّل استفساره الداخلي لاستفسار مسموع، كان الجواب منهم جميعًا هو حركة الرؤوس يمينًا ويسارًا؛ دلالة على النفي، مع الكثير من الأسف والحزن في الوجوه..

كلهم أرسلوا تسجيلات صوتية ورسائل مكتوبة عبر واتساب، وجميعهم وصلتهم الرسائل، وقرؤوها، لكن دون أيّ رد..

اقتربت سيدة كبيرة في العمر وترتدي إيشارب أزرق، وقالت بنبرة باكية وهي متعلقة بييد الرائد (عصام):

- أرجوك يا ابني أن تخبرنا ما الذي يحدث، هذه ابنتي الوحيدة، سأجنّ لو ألمّ بها مكروه ما..

بنبرة صوت حاول أن تكون هادئة، قال وهو يبعدها عنه برفق، مع نظرة ذات مغزى للملازم (طارق) بسرعة:

- اطمئني يا خالتي، سنحاول تزويدكم بالمعلومات بأسرع وقت ممكن، إنهم أونلاين وهذا يعني أنهم أحياء، لكن هناك شيء يمنعنا من رؤيتهم، هناك شيء يمنع الاتصالات الطبيعية معهم، لكن هناك أمل على الأقلّ، وسنحاول التنسيق بأسرع وقت مع الجهات المعنيّة، كي نعيد لكي ابنتك، ونسترجع كل ركاب الطائرة بسلامة وخير وعافية، لا نريد منكم الآن إلا الدعاء..

قالها ورجع بسرعة للغرفة التي فيها (حسين) مدير الملكية والمراقبين، ومعه الملازمين (طارق) و(حمزة) و(معاذ) من وزارة الاتصالات..

حين دخلوا، قاموا بإخبارهم بما حدث، وكانت مفاجأة عنيفة..

كانوا في غاية الاستغراب!

كيف تكون الطائرة مفقودة ومختفية، ولا يظهر لها أي أثر على شاشات الرادار، لكن ركابها متصلون عبر الإنترنت؟!

وكيف يمكن أن يستقبلوا الرسائل ويقرؤوها؟!

ولماذا يرفضون الرد؟!

- لأنَ هواتفهم ليست معهم..

قالها الملازم (طارق) فانتبه الجميع، ليكمل بهدوء:

- .. لو حاولنا أن نرى الأمر من زاوية منطقية، لوجدنا أنهم سيردّون فورًا لو كانت معهم هواتفهم، سيقومون بالردّ حتمًا، لا يوجد ما يمنعهم من هذا، إلا لو كان هناك سبب قوي جدًا.. أعتقد أن الخاطفين بعد أن اختطفوا الطائرة بتكنولوجيا متطورة لا نعرف عنها شيئًا، أخذوا الهواتف من الجميع، ولا أملك طبعًا أي تفسير لكيفية اتصال هواتفهم بالإنترنت، وكيف يرون الرسائل دون أي رد، هذا ما لا أعرفه!

قال الملازم (حمزة):

- المشكلة أنَ الأسئلة أكثر من اللازم، لماذا ذابتا الجثتان؟! لماذا ماتت (تمارا) في نفس وقت ظهور القمر العملاق؟! وما علاقتها بموت (مازن صبري) قبل عشر سنوات؟! وما علاقتهما بموت (عبد الله خليفة) قبل عشرين سنة؟! وما سرّ موتهما بالقمر العملاق أيضًا؟! وكيف لهذين الاثنين أن يكونا حيين من جديد؟! ولولا ما حدث بالطائرة لم نعرف هذا؟! ما علاقتهما بكل ما حدث؟! ولماذا يرتبط القمر العملاق بأهرامات المايا التي ظهرت الطائرة المفقودة فوقها لمدة دقيقة واحدة قبل أن تختفي مجددًا؟! ولماذا لم يكن بإمكاننا رؤية وجه (عبد الله) إلا عندما قام (معاذ) بفك التشفير الذي يمنعنا من الرؤية؟! ولماذا لـ..

قاطعه الرائد (عصام) فجأة وبانفعال:

- (معاذ)، هل من الممكن ألا تكون الطائرة مفقودة؟!

انتبه الجميع للعبارة، وسكت (حمزة) عن الكلام مع أنّ أسئلته كانت ترن برؤوس الجميع، وقال (معاذ) باهتمام شديد:

- ما الذي تقصده؟!

قال الرائد (عصام) بلهفة عصبية:

- كما استطاعوا بشيفرة معينة أن يخفوا وجه الطيار الذي عرفنا أنه (عبد الله خليفة) مدير الملكية المفترض موته منذ عشرين سنة، ألا يمكن أن يستخدموا نفس الشيفرة أو نفس الكود مثلًا لإخفاء الطائرة؟! ألا يمكن أن تكون في الجوّ؟! ألا يمكن أن تكون قد هبطت في مكان ما ونحن لا نعرف هذا حتى الآن؟!

اتسعت عيون (معاذ) وقال بحماس:

- منطقي جدًا، هناك احتمال كبير، ويجب أن أتأكد..

وأشار بيده للمراقبين (أيمن) و(عبد الغفار) الذين اقتربا منه، ليطلب منهم أن يساعدوه بهذا الشأن بالذات، سلّم كل واحد منهما منطقة معينة، مع تعليمات بحث خاصة كي يضيقوا النطاق، ويروا إن كان بإمكانهم معرفة مكان الطائرة..

بنفس الوقت بينما يستمع الجميع إليهم بتركيز؛ رن هاتف الرائد (عصام)، كان الطبيب الشرعي هو المتصل..

رد عليه ولم يقل شيئًا، كان يتمتم فقط، وبعدها أنزل هاتفه، ورفع وجهًا حائرًا وعيونًا ممتلة بالضياع نحوهم، وقال بصوت متوتر جدًا، إلى حد مزعج:

- (نادر) و(تمارا)..

تساءل الملازم (طارق):

ـ ما بهم يا (عصام) بيك؟!

فجر الرائد (عصام) قنبلة مدوية جديدة:

ـ اختفت جثتاهما!

* * *

جثة (عبد الله خليفة) مدير الملكية الأردنية السابق، اختفت بعد أن اكتشفوها، وحدث هذا قبل عشرين سنة..

كذلك جثة (مازن صبري) المساعد الإداري، اختفت أيضًا بعد أن اكتشفوها، وحدث هذا قبل عشر سنوات..

والآن، يتكرر الأمر..

جثة (تمارا) اختفت، ومعها جثة (نادر)!

ما الرابط؟!

من الذي يقتلهم؟!

ولماذا يقوم بإخفاء جثثهم؟!

دارت كل هذه الأسئلة في أعماق الجميع بعد أن أنهى الرائد (عصام) الاتصال مع الطبيب الشرعي، وخرج من الغرفة ليتكلم قليلًا مع اللواء (أكرم) مدير دائرة البحث الجنائي، والذي كان منزعجًا بشدة، كعادته، مع كل هذه التطورات..

عندما عاد ودخل إليهم، كان من الواضح أنّ الرائد (عصام) ليس في مزاج رائق، لم تكن مكالمة لطيفة أو هادئة إطلاقًا، لا بدّ أن اللواء (أكرم) وصل أقصى مراحل التحمّل، ولا شك أنّه مستعد لأن يفعل أي شيء قد يمنحه بعض الإجابات..

جلس الرائد (عصام) وتنهد، أخرج تنهيدة عميقة حارة من أعماقه قبل أن يشعل سيجارتين، واحدة له، والأخرى لمدير الملكية (حسين)، بينما قال الملازم (حمزة) ببساطة:

- كنت أتوقع أن يحصل هذا..

تساءل الملازم (طارق):

- ما هو؟!

قال الملازم (حمزة):

- أن تختفي الجثتان! كان هذا متوقعًا بالنسبة لي على الأقل، خصوصًا أننا نعلم بحصول هذا مع جثتي (مازن) و(عبد الله)..

عقد الملازم (طارق) حاجبيه بقوة قائلًا:

- لماذا تستمر الجثث بالاختفاء؟! من هذا الشخص الذي يهتم بهذا الأمر بشدة، لدرجة أنه ومنذ عشرين سنة يقوم باختطاف الجثث؟!

فكر الملازم (حمزة) قليلًا قبل أن يقول:

- أستبعد أن يكون شخصًا، هناك تفسير آخر، لا بدّ أن هناك شيئًا غير طبيعي..

قال الملازم (طارق) بعد أن تنحنح قليلًا:

- (عصام) بيك، هل طلب اللواء (أكرم) شيئًا منك لنقوم بمساعدتك على فعله؟!

سأله الرائد (عصام) باهتمام:

- هل تواصلت مع أحد من السفارات يا (معاذ)؟!

رفع (معاذ) رأسه عن لوحة المفاتيح التي كان منهمكًا بالعمل عليها باهتمام شديد:

- لا..

وضح الرائد (عصام) غاية سؤاله:

- .. لأنّ اللواء (أكرم) سألني، وأخبرني إنه يريدك أن تتواصل مع السفارات، وهم هناك سيقومون بإيصالك إلى أشخاص قد يفيدوننا بمعرفة أي أشياء مترابطة بخصوص الطائرات المفقودة الثانية، الإسبانية والروسية والألمانية، يريد أن تسأل خبراء ضمن مجالك، بالاختراق، بالاتصالات، بالتكنولوجيا، بأي شيء سيساعدنا على حل هذا اللغز المعقد..

وسكت قليلًا قبل أن يقول بحزم:

- .. دعونا نرتب أوراقنا قليلًا، الآن لدينا مهمتان، الأولى أن تتحقق من وجود شيفرة أو كود معين يمنعنا من رؤية الطائرة على الرادار، كما كان يمنعنا من رؤية وجه (عبد الله) على الكاميرات، وأن نرى بعض الأشخاص من الدول التي فقدت طائرات أيضًا، كي تروا أي نقاط تواصل معهم، بين ما حصل عندنا وعندهم.. قوموا بتوزيع المهام بينكم، (معاذ) و(أيمن) و(عبد الغفار)، وتواصلوا مع وزارة الاتصالات لنرى إن كانوا سيمدون يد المساعدة لنا في هذه المسألة أيضًا، نحن معكم وكل المصادر تحت تصرفكم، المهم أن نجد بعض الأجوبة، أكد عليّ اللواء (أكرم) هذا، يجب أن نجد بعض الأجوبة..

والتفت للملازم (طارق)، وقال وهو ينقل نظراته بينه وبين الملازم (حمزة) بصرامة:

- تعرفون ما الذي يجب أن تقوموا بفعله، لكن كما قلت، يجب أن نعرف معنى الكلمة الغامضة..

قال الملازم (طارق) ببطء:

- نوفاتيرا..

هز الرائد (عصام) رأسه، وابتسم ابتسامة مشجعة للجميع..

بعد أن عرَّف كلّ منهم ما الذي سيفعله، وخلال دقائق، كان (معاذ) و(أيمن) و(عبد الغفار) قد اجتمعوا، كل منهم أمام جهازه، بتركيز، ليمارسوا العمل والتجريب والمحاولات، بينما يقوم الملازم (طارق) بالتنسيق وإجراء المكالمات مع وزارة الاتصالات، والملازم (حمزة) كان يرتب الأمور مع وحدة الجرائم الإكترونية في البحث الجنائي بخصوص معاون أو معاونين ليساعدوا (معاذ)، بنفس الوقت غادر (حسين) مدير الملكية الغرفة ليقف قليلًا مع الأهالي، ويطمئنهم ويتكلم معهم، قبل أن يذهب إلى مكتبه لينجز عدة أمور لا بدّ أن ينجزها بنفسه، كما قال للرائد (عصام)، والذي كان يجلس وقد غرق بالتفكير، ووجهه جامد من غير أي انفعالات، بينما في حقيقة الأمر، هو لم يفكر بشيء بشدّة كما يفعل الآن!

كان يفكر بالأمر كله؛ فعليًا، وحرفيًا..

رنت (لَمَا) فجأة، وقطعت حبل أفكاره؛ فردّ عليها بسرعة بعد أن خرج من الغرفة:

- نعم يا حبيبتي..

كانت مرتبكة:

- نعم يا حبيبي، هل تابعت ما يقولونه في الأخبار؟!

عقد حاجبيه بشدة:

- أي أخبار؟!

فاجأته بالجواب غير المتوقع:

- أخبار الطائرات المفقودة الأربعة!

بدهشة هائلة قال:

ـ ماذا؟!

قالت بقلق:

ـ الطائرات يا (عصام)، الأردنية والإسبانية والروسية والألمانية! ها هي أخبارهم في فيسبوك وبالمواقع الإخبارية كلها، وعلى قناة (رؤيا) و(الأردن اليوم)، وحتى (الجزيرة) و(العربية)! بكل مكان!

بذهول قال:

ـ كيف؟! من نشر الخبر؟! وكيف انتشر بهذه السرعة؟!

قالت بتوتر:

ـ لا أعلم، لكن الصدمة تعمّ الأرجاء؛ لأنه وبنفس الوقت هناك خبر آخر، انتشر بنفس القوة، وكنت أظنّ أنكم عرفتهم ما الذي يتكلم عنه كل شخص حول الكوكب الآن..

انقبض صدره لا إراديًا رغم جهله بما ستقول:

ـ أي خبر آخر؟! ماذا هناك؟!

قالت (لَمَا) وصوتها يرتجف:

ـ وكالة الفضاء، (ناسا)، نشرت خبرًا رسميًا أنّ هناك نيزكًا ضخمًا في طريقه للأرض، وأنه سيرتطم بكوكبنا خلال أسابيع قليلة، وأنّ هذا خبر حقيقي، وليست دعابة على الإطلاق..

رغم أنّ (عصام) ليس بمزاج رائق للضحك أو حتى الابتسام، من فرط التوتر، ضحك، وقال:

ـ صدقيني يا حبيبتي، إنني أقرأ هذه الأخبار والتحذيرات عن هذا النيزك منذ العديد من السنوات، لقد سئمنا من هذه الأخبار المجنونة والمضحكة، والـ..

قاطعته بتوتر:

- (عصام)! هناك شيء مختلف هذه المرة، كل الفضائيات التي تعرفها نشرت الخبر، كل الصفحات الرسمية الخاصة بوكالة (ناسا) تؤكد الخبر، الأخبار في صفحات الوكالة في فيسبوك وتويتر وإنستجرام، صفحاتهم الرسمية الموثقة بالعلامة الزرقاء.. و..

فجأة قطعت كلامها، ابتعد صوتها قليلًا ثم قالت:

- .. اسمع، (عصام)، سأتصل بك بعد قليل، الدكتورة (إيمان) تتصل بي، هذه واحدة من الذين سألتهنَ عن أهرامات المايا والقمر العملاق، أعتقد أن بجعبتها شيء جديد لتقوله لي، سأقوم بالرد عليها وأعود لك..

وأنهت الاتصال بينما عاد هو للغرفة..

لا يدري لماذا يشعر أنه متعب للغاية..

لا يدري لماذا شعر أنه يريد إغلاق هاتفه!

فكر بالأمر ونفذه فورًا، أغلق هاتفه ثم ذهب إلى المنطقة الحرة في المطار، ثمة فرع لمطعم (ماكدونالدز) هناك، طلب وجبة، وبدأ يأكل ويشرب، وهو يتأمل بالقادمين، والمغادرين..

بعد أن انتهى قام بطلب كوب من القهوة الأمريكية، وضع ساقًا على ساق، وهو يشرب، ويدخن، ويفكر..

فكر بكل شيء، مرة ومرتين وثلاثة، من كل النواحي، بكل ما عرفوه، بكل ما سمعوه، لعل هناك شيئًا يفيده، لعل هناك تفصيلة ما نسوا أن يعطوها الاهتمام المناسب؛ فكر بكل شيء، ربما كان هناك أمرًا ما يقرب الصورة أكثر، يزوده بمعلومات أفضل، قد تزيح جزءًا من هذا الغموض الكبير الذي يسيطر على كل التفاصيل!

أكثر من نصف ساعة مرّت، وقد دخن أكثر من سبع سجائر، وبعدها فتح هاتفه، ليجد عدة رسائل من (لَما) و(طارق)..

كان يمشي باتجاه الغرفة، وهو يرد على اتصال جديد من (لَمَا)، بينما الملازم (طارق) يرن عليه بإلحاح:

- نعم يا حبيبتي..

كان صوتها ممتلئًا بالقلق أكثر من أيّ مرة:

- لا أدري إذا كان ما سأقوله لك معناه كما قمت أنا بتفسيره، ولكن هناك نبوءة قديمة عند حضارة المايا، شعرت أنها قد تكون مثيرة للاهتمام بالنسبة لك..

باهتمام هائل قال:

- ما هي؟!

فسّرت له (لَمَا)، وقالت وهي تحاول تكون أن بطيئة بالكلام كي يستوعب (عصام) كل كلمة:

- أخبرتني الدكتورة إنّ أكبر هرم من أهرامات المايا، وجدوا مكتوبًا فيه فور دخولهم إليه: «سيحلّ الخراب عندما تهرب الطيور المعدنية، ويموت الثلاثة فور اكتمال القمر الأحمر»!

سكت الرائد (عصام) ومخه يعمل بأقصى طاقته، ولم يقل أي كلمة، بينما أكملت (لَمَا) كلامها وصوتها يرتجف:

- .. لقد أخبرتني إنه مات أربعة، لكن الذين ماتوا برصاصة في الرأس وبنفس الطريقة هم (عبد الله) و(مازن) و(تمارا)، وبنفس الوقت هناك طائرات مختفية أو مخطوفة، وأنا أتوقع أن هذه الطائرات هي الطيور المعدنية التي في النبوءة، لكن؛ ما الذي تعنيه عبارة «سيحل الخراب»؟!

هز الرائد (عصام) كتفيه وقال بعصبية:

- لا أعلم..

أكملت (لَمَا) بعصبية أكثر:

- .. هل سيكون النيزك حقيقيًا كما يقول الجميع في الأخبار؟! هل سنموت؟! هل سيحدث هذا وتتحقق النبوءة؟!

قال الرائد (عصام) بانفعال، بينما هو يقترب من غرفة المراقبة التي يجلس فيها الجميع، وما زال (طارق) يرن عليه:

- كلام فارغ! هذا كلام فارغ، مجرد كلام ليس له أي معنى، ما الذي تقولينه عن طيور معدنية وثلاثة قتلى وخراب؟! هذا هراء، دعكِ من كل هذا القلق ومن دكتورتك غريبة الأطوار، دعيني أركز قليلا بعملي، يبدو أن هناك مصيبة جديدة، (طارق) يتصل بي منذ أن بدأت بالحديث، سأعود لأكلمك لاحقًا..

وأنهى الاتصال بعصبية، ودخل الغرفة مباشرة قائلًا:

- نعم يا (طارق)، نعم.. ماذا هناك؟!

وجوههم كلها كانت مصدومة!

كرّر السؤال بنبرة أعلى:

- ما الذي يحدث؟!

بينه وبين نفسه، توقع الرائد (عصام) أنهم قلقون بسبب نشرات الأخبار عن النيزك..

أو ربما بسبب انتشار الأخبار في كل مكان عن الطائرات المفقودة الأربعة، هذا شيء مزعج للغاية، حقًا..

لكن..

كان في عيونهم شيء آخر..

مفاجأة جديدة!

لا شك أنها مفاجأة جديدة وسيئة!

ألقى بنفسه على المقعد، وقال:

ـ نعم يا (طارق)، نعم يا (معاذ)، أخبروني! ماذا هناك؟! ما الذي يحدث؟!

بلهجة عتاب قال الملازم (طارق):

ـ كان هاتفك مغلقًا، وكنت أحاول العثور عليك!

تجاهل الرائد (عصام) عتابه وسأله بصرامة شديدة:

ـ وها أنا هنا الآن! ماذا هناك؟!

لم يجبه الملازم (طارق)..

فقط مد يده..

كان في يده هاتف محمول، ميّزه الرائد (عصام) أنه نفس هاتف الرجل العجوز الذي رأوه قبل عدة ساعات، والذي أخبرهم أن الذين في الطائرة متصلين بالإنترنت، وأنهم أونلاين..

هاتف الرجل العجوز كان في يده، بعد أن ناوله إياه الملازم (طارق) بيد مرتجفة..

أمسك (عصام) الهاتف بين أصابعه، نظرات الكل كانت تصرخ به أن يفتحه..

فتح الهاتف، على واتساب مباشرة..

كانت هناك رسالة جديدة، من ابن الرجل العجوز..

بعد مئات الرسائل التي أرسلها الرجل العجوز، وتمت قراءتها دون ردّ، كانت هناك رسالة واردة..

رسالة مكونة من كلمة واحدة فقط..

ردّ بسيط، لكنه فجّر عاصفة جديدة من الأسئلة، والغموض، والقلق، وعلامات الاستفهام الهائلة:

«نوفاتيرا»!

* * *

8

عندما خرج الرائد (عصام) من الغرفة، كان يشعر وكأنّ رأسه على وشك أن ينفجر، وكان هناك شعور داخلي غريب، يضغط على رئتيه..

كان يشعر أنّ هناك ألف قنبلة داخله!

وفور خروجه، كان أمامه الرجل العجوز وأكثر من شخص، العديد من الناس، الواضح عليهم الانهيار، والتعب الشديد، والتفكير الزائد عن الحد، وبالذات أن الأمر انتشر..

انتشر الخبر في كل المواقع الإلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي، بسرعة غير طبيعية..

الاتصالات تنهمر من كل مكان، كل المسئولين يقومون بالاستفسار عن الطائرة الأردنية المخطوفة، الصحافة والإعلام، الشرطة والمخابرات، رجال أمن على مستوى عال في الدولة..

خلال ساعة، كان المطار ممتلئًا..

كلهم كانوا يسألون عن الذي يحدث، وعن مدى ارتباط ما يحدث ببقية الطائرات المفقودة أيضًا، وهل هناك أي إشارات عن ارتباط الأمر بالإرهاب أم لا؟!

ابتعد الرائد (عصام) قليلًا عن الجموع، وجلس على أحد مقاعد الانتظار، وهو يفكر بكل شيء..

بالنيزك بالذات!

فتح هاتفه، وأخذ يقلب في فيسبوك قليلًا..

يا إلهي!

فعلًا..

هذه المرة ردة الفعل مختلفة جدًا!

يتكلم الجميع عن هذا الأمر حصرًا..

أصدقاء، أقارب، حتى شقيقاته، حتى بناتهم، حتى المشاهير قاموا بعمل فيديوهات يقولون فيها إنّ هذا الأمر حقيقي، ليس فقاعة حتمًا، وليس خبرًا عابرًا قرأناه مئات المرات..

هذه المرة، كان الأمر مختلفًا!

هناك فيديوهات، وأخبار، وتقارير، وحوارات سريعة عاجلة؛ من صفحات ومواقع علمية رسمية، وإخبارية موثوقة..

النيزك قادم..

ربما خلال أسابيع أو أشهر!

هناك احتمال كبير أن يقترب إلى حدّ كبير من الأرض، ولكن هناك احتمال كبير أن تستطيع (ناسا) التصدي، بالذات مع صواريخ شركة (سبيس أكس) لصاحبها (إيلون ماسك)..

الكثير من الفيديوهات تتحدث عن شركة (سبيس أكس) والتي بالتعاون مع (ناسا) ستقوم بإطلاق عدة صواريخ باتجاه النيزك، وستكون الصواريخ محملة بقنابل هيدروجينية محدودة التأثير، بحيث تفتت النيزك قبل أن يصل للأرض، ويمنع الدمار الشامل..

الموضوع حقيقي!

النيزك قادم فعلًا، خلال أسابيع!

صور لمساجد ممتلئة، معابد، كنائس، حتى الكثير من رؤساء الدول، ظهروا في مقاطع قصيرة مقتضبة، وتكلموا عن بعض الملاجئ القديمة، والتي يجري العمل على ترميمها بسرعة هائلة؛ للابتعاد عن خطر الإشعاع على الأقل، حين يمر النيزك قرب الأرض، بحجمه الكبير..

حمّى أصابت العالم خلال ساعات، بينما الرائد (عصام) ومن معه بعيدون عن كل هذا، مع الانغماس الهائل باللغز الرهيب الذين يعيشونه كل دقيقة، مع تطور الأمور أكثر وأكثر!

اللغز..

اللغز..

رنت الكلمة برأسه عدة مرات، نهض مثل الملسوع ودخل الغرفة بسرعة، كانوا يتكلمون عن النيزك والقلق واضح على وجوههم بوضوح، جلس وقال:

ـ كي تكونوا بالصورة معي، وبما أنني كنت أتكلم مع (لَمَا) قبل قليل، أخبرتني شيئًا غريبًا جدًا، يرتبط بما يحصل معنا..

ارتسمت الدهشة على ملامحهم كلهم؛ فأكمل:

ـ هاتفتها أستاذتها، وأخبرتها إنّ أكبر هرم من أهرامات المايا، وجدوا مكتوبًا فيه: «سيحلّ الخراب عندما تهرب الطيور المعدنية، ويموت الثلاثة فور اكتمال القمر الأحمر»!

نظرات عدم الفهم كانت مصوبة عليه؛ فقال بلهفة:

ـ ثلاثة ماتوا! وهذا يعني (عبد الله) و(مازن) و(تمارا) الذين توافق موتهم الغريب واختفاؤهم غير المنطقي مع ظهور القمر الأحمر! وهذا هو نفس المكتوب بالهرم الأكبر في المايا! و.. هل لاحظتم عبارة (سيحلّ الخراب)؟! أي خراب هذا؟! وكيف من الممكن أن يحل الخراب بهذه الصيغة العامة؟! بالنيزك طبعًا! النيزك هو الذي سيأتي، ليسبب

الخراب!

وابتلع ريقه، ثم قال:

- .. لماذا لم يكملوا النبوءة أو الشرح؟! من الواضح أنّ الذي سيقرأ سيفهم من المقصودين، هذه ليست مصادفة.. هناك ذكر لثلاثة أشخاص سيموتون، وهناك ذكر لقمر أحمر، وهناك ذكر لطيور معدنية أيضًا، الطيور هي الطائرات! هي الطائرات المخطوفة بالتأكيد! الطائرات المفقودة! وبعدها سيحل الخراب، بعد أن تعجز الصواريخ عن صده!

أنهى كلامه، وهو مستغرب من نفسه، ومن سرعته بتغيير رأسه بما يحدث..

لكن، هذا ما يفعله التفكير المنطقي بالشخص..

قبل قليل وعبر الهاتف كان يرى الأمر سخيفًا إلى درجة لا تصدق، كان يرى الأمر من زاوية معينة، لكن المشكلة أن كل ما حدث ويحدث يقول له إن عليه التفكير ورؤية الأمر من زاوية مختلفة؛ فكل شيء غريب، كل شيء مرتبط بالآخر، رغم أنه في حقيقته ليس كذلك!

كل الأحداث غامضة، وليست مفهومة..

لا يوجد شيء طبيعي، بما حدث..

كيف سيفهمه بطريقة طبيعية؟!

لا بدّ أن يكون التفسير غير طبيعيّ..

وغير عاديّ!

لهذا وهو يخبرهم عن الأمر وجد أنه مقتنع به، من المستحيل أن تكون كل هذه التفاصيل المكتوبة في سطر واحد منسيّ، من حضارة قديمة، مجرد صدفة..

مستحيل أن يكون هذا صدفة!

انتزعه من أفكاره صوت الملازم (طارق)، الذي قال بعد أن تنحنح وسعل مرتين:

- (عصام) بيك، هاتفك يرنّ..

انتبه بعد كلمته أنّ هاتفه يرنّ..

كان رقم البحث الجنائي!

ردّ وقال:

- نعم، تفضل..

جاءه صوت صارم:

- (عصام) بيك، معك (جميل) من إدارة البحث الجنائي، أتانا قبل قليل شخص ويصرّ أن يراك أنت بالذات..

قال الرائد (عصام) بصوت فيه نبرة ضيق واضحة:

- دع أي شخص آخر يراه، أنا لست بالإدارة اليوم ولن آتي، أنا في المطار..

قال (جميل) بحرج:

- لكن يا (عصام) بيك، هذا الرجل يقول إنه يريدك بسبب النبوءة! ويقول إنك ستوافق على رؤيته بالتأكيد!

بذهول قال الرائد (عصام) الكلمة التي جعلت كل الذين حوله يحدقون فيه بدهشة:

- أي نبوءة؟!

قال (جميل):

- لم أفهم ما يقول، لكن هذا ما طلب مني أن أخبرك إياه!

بنفاد صبر قال الرائد (عصام):

- وهو؟!

كان الجواب من (جميل) أكثر من صادم:

- يريد أن يراك بسبب نبوءة أهرامات المايا!

***

كانوا جميعًا في غاية الدهشة عندما أنهى الرائد (عصام) المكالمة والتفت نحوهم بملامح كلها انزعاج..

يريد أحدهم رؤيته بسبب النبوءة؟!

نبوءة المايا بالذات؟!

بحزم قال الرائد (عصام) وهو يشير بيديه نحو الجميع:

- لا بدّ أن أذهب هناك كي أراه، لا يعرف أحد هذه المعلومة إلا نحن، وحين يظهر شخص جديد وغريب ويعرف بشأنها؛ فهذا ليس شيئًا يتجاهله المرء..

قال الملازم (حمزة) بتوتر:

- من هو؟! وكيف عرف هذا؟!

قال الرائد (عصام) وهو يفتح الباب:

- سأذهب كي أرى من هو وسأخبركم، المهم يا (معاذ) أن تستمر بما تقوم بفعله مع (أيمن) و(عبد الغفار)، حاولوا أن تتأكدوا إن كانت الطائرة مختفية بنفس التكنولوجيا التي أخفت ملامح (عبد الله خليفة) عن الكاميرات، وتابعوا أيضًا مع مصادرنا في الدول التي فقدت بعض الطائرات أيضًا..

والتفت للملازم (حمزة) والملازم (طارق) وقال بحزم:

ـ .. نريد أن نعرف ما الذي تعنيه كلمة (نوفاتيرا)، يجب أن نعرف لماذا تكررت، وما مغزاها، يجب..

قالها وغادر المكان مباشرة، بينما كل خلية في دماغه تفكر، قبل أن يصل اتصال من أمه، كانت خائفة جدًا؛ بسبب ما وصلها عبر الواتساب عن النيزك..

طمأنها قدر استطاعته، وحاول أن يكون مرحًا عبر الهاتف مع أنه يشعر بقلبه يرتجف..

لماذا يشعر هذه المرة أنّ الخطر حقيقي؟!

دول، قنوات فضائية، رجال دين، سيدات، رجال، أطفال، الناس عبر كل منصات التواصل الاجتماعي بكل أشكالها وأنواعها، كلهم يتكلمون عن هذا الأمر!

أنهى معها الاتصال، واتصل مع (لَما)..

كان عندها نفس القلق ونفس التوتر، ونفس المرحلة النفسية التي في الحضيض، بالذات حين أخبرها عن وجهته..

بخوف قالت:

ـ من هذا الذي يعرفك بالاسم؟!

قال الرائد (عصام) بحيرة:

ـ لا أعرف، لكنهم أخبروني إنه يريدني بسبب ما قمت أنت بإخباري إياه، عن نبوءة أهرامات المايا..

ببطء قالت (لَما):

ـ ربما صدفة..

قال الرائد (عصام) بعصبية:

ـ هل ستجعله الصدفة يأتيني أنا شخصيًا؛ الرجل المسئول عن التحقيق بهذه القضية اللعينة، ليقول لي ما أنت أخبرتني إياه قبل قليل؟! سأصدق كل شيء إلا الصدفة يا (لَمَا)!

بصوت كله قلق، قالت:

ـ أنا خائفة؛ فقط أريدك أن تكون بخير..

كان يسيطر عليه شعور بعدم الراحة، لكنه كتم مشاعره داخله بقوة هائلة، وقال بصوت حاول أن يكون طبيعيًا:

ـ توكلي على الله يا (لَمَا)، سأكون بخير..

وصل المبنى، مرَ في طريقه على مكتب اللواء (أكرم) وأعطاه ملخصًا سريعًا لما حدث، وأخبره عن الشخص الذي جاء وطلبه بالاسم ليتكلم معه عن النبوءة..

ـلم يخبرني أحد شيئًا عنه، حسنًا، سآتي معك..

قالها اللواء (أكرم)، قبل أن يذهب معه مباشرة نحو غرفة الاستقبال، هناك يجلس الشخص الذي يريد رؤيته..

دخلا من الباب، وكان أمامهم شخص قصير القامة، لحيته سوداء وطويلة نوعًا ما، يرتدي بذلة سوداء رسمية كاملة، وربطة عنق زرقاء، وابتسم عندما رأى الرائد (عصام) واللواء (أكرم)..

ابتسامته كانت غريبة!

نهض من مكانه بينما اقتربا منه، وهو يتأمل كل مليمتر منهما، وقال الرائد (عصام) وهو يمد يده إليه ليصافحه:

ـ هل أنت الرجل الذي يريد رؤيتي؟!

قال الرجل بنبرة صوت قوية وواثقة:

ـ نعم، وأنت الرائد (عصام)، وأنت اللواء (أكرم)..

صافحهما ثم جلس، وجلس الاثنان أمامه، والدهشة على وجوههم، والتزم الصمت لثوانٍ، دون أن يعرف عن نفسه..

ابتسم ابتسامة واسعة، وقال ونظراته الحادة مسلطة عليهما:

ـ هل تتوقعان أن النيزك له علاقة بكل شيء؟!

تبادل الرائد (عصام) واللواء (أكرم) نظرة جانبية سريعة، وقال الأول بصرامة عصبية وهو يشعر بالتوتر:

ـ أنت هُنا لتسألنا أم لتقول لنا ما عندك؟!

احتفظ الرجل بابتسامته دون أن يقول شيئًا، والرائد (عصام) يردف بنبرة حازمة وجادة:

ـ أتيت إليك من المطار مباشرة لأنك قلت عبارة تدل أنك تعرف بعض الأمور، عبارة لا يعرفها أحد، لهذا قُل ما عندك، والأهم أن تعرفنا بنفسك.. من أنت؟!

قال الرجل بحزم:

ـ ليس مهمًا من أكون يا (عصام) بيك، المهم هو مدى استفادتك مني بالقضية التي بين يديك، والتي تشعرك أنك لا تفهم شيئًا مما يحدث..

وعدل جلسته، ومال بجسمه باتجاهه هو واللواء، وقال فجأة:

ـ .. قبل أن تعرف ما الذي سيحدث، يجب أن تعرف ما الذي حدث من قبل!

عقد اللواء (أكرم) حاجبيه، وتساءل باستغراب:

ـ وما الذي حدث من قبل؟!

أخذ الرجل نفسًا عميقًا وقال:

ـ لا شك أنكم في غاية الانشغال والانزعاج، تريدون معرفة من الذي قام بخطف الطائرات، وتريدون معرفة أسباب خطف الطائرات، ومعرفة سر النيزك، ونبوءة أهرامات المايا، بينما في حقيقة الأمر، لم يبدأ كل هذا من هنا، ولا الآن، بل منذ عشرين سنة..

هزّ الرائد (عصام) رأسه وهو يكرّر:

ـ منذ عشرين سنة؟!

هز الرجل رأسه بدوره، وقال:

ـ نعم، منذ تلك اللحظة التي مات فيها (عبد الله خليفة) بالطبع، بأول ظهور للقمر العملاق، ذاك هو الوقت الذي يجب أن تسأل نفسك عنه، وأن تتساءل عن حقيقة ما بدأ حينها..

كان من الواضح أنه ليس رجلا سهلا..

كان من الواضح أنه يعرف الكثير من الأمور..

كان من الواضح أنه سيكون مفيدًا جدًا لهما في القضية!

رغمًا عنه، قال اللواء (أكرم) بعصبية:

ـ كيف تعرف كلّ هذه الأسماء والتفاصيل والأشياء؟!

ابتسم الرجل ابتسامة صفراء غير مريحة، وقال:

ـ لا أملك الكثير من الوقت يا سيادة اللواء، لا تسألني، بل فكر بكلامي؛ فكر بكلامي..

ومال من جديد باتجاه الرائد (عصام)، وقال وهو ينظر في عينيه مباشرة، بنظرة باردة وجافة:

ـ اسأل الطبيب الشرعي عن البصمات!

قال الرائد (عصام) بدهشة:

- أي بصمات؟!

قال الشخص ببساطة، وهو يسترخي في مقعده:

- بصمات (نادر) و(تمارا)! اسأله عن بصماتهما، وعن بصمات البقية!

- من البقية؟! وما الراب..

قبل أن يكمل الرائد (عصام) تساؤله، وأمام عينيه الممتلئتين بالدهشة والذهول، هو واللواء (أكرم)، حدث شيء غريب آخر..

فجأة انفتحت فجوة سوداء في الهواء!

في الهواء..

أمامهم..

فجوة سوداء كبيرة، ظهرت مباشرة بجانب هذا الشخص الغريب الغامض، وعاصفة هواء قوية وباردة جدًا هبت داخل الغرفة، مع صوت صفير مزعج..

صفير غريب..

كان الصفير قويًا وعاليًا جدًا وبطريقة غير طبيعية، جعلت كل واحد منهما يغلق أذنيه بيديه، ويصرخ بأعلى صوت من الألم الذي سببه الصفير..

خلال ثوانٍ هدأ كلّ شيء..

اختفى الشعور بالبرد، والصفير، والرعب..

فتح الرائد (عصام) عينيه بصعوبة..

و..

انصعق مما رآه، بنفس الوقت الذي كان فيه اللواء (أكرم) يشهق من المفاجأة..

الرجل الذي كان معهما..

.. اختفى تمامًا!

***

باب غرفة الاستقبال مغلق، ولا يوجد سواهما..

أين هو؟!

أين ذهب؟!

قال الرائد (عصام):

- أعتقد أنّ الفجوة السوداء وسيلة لهروبه..

قال اللواء (أكرم) ببطء:

- أو وسيلة لاختطافه!

بلع الرائد (عصام) ريقه.. وقال:

نعم، هذا وارد أيضًا، ربما هي وسيلة عنده لينتقل بها من مكان إلى آخر، أو أنّ هناك شخصًا لا يريد منه أن يقول المزيد؛ فاستخدم هذه الوسيلة أو هذه الفجوة لاختطافه..

هذا وارد، وهذا وارد..

فجأة اقتحم باب الغرفة عدة رجال أمن، وقال أولهم بقلق وهو يدير عينيه في أنحاء المكان:

- سيادة اللواء، (عصام) بيك، ما الذي يحدث؟!

قال اللواء (أكرم):

- الرجل الذي كان هنا قبل قليل، اختفى فجأة من أمامنا عندما ظهرت فجوة سوداء في الهواء بجانبه.

وبتر اللواء (أكرم) عبارته فجأة..

نظرات الدهشة التي تطل من عيونهم كانت كبيرة!

قال الضابط بحيرة:

ـ الرجل؟! أي رجل؟!

أشار اللواء (أكرم) بيده إلى الغرفة:

ـ الرجل الذي دخلنا هذه الغرفة كي نراه، قبل قليل..

قال الضابط وهو يرفع أحد حاجبيه:

ـ كل الاحترام لك يا سيادة اللواء، لكن لم يكن هناك أحد بالغرفة إلا أنت، والرائد (عصام)..

تمتم الرائد (عصام) بتوتر:

ـ ماذا؟!

قال الضابط وهو لم يستوعب بعد ردة فعلهم:

ـ ما أقوله إنني كنت طوال الوقت في نهاية الممر، ولم أر أي شخص آخر.. لم يدخل الغرفة أحد قبلكما، ولا بعدكما!

* * *

مشى اللواء (أكرم) بالممر، ومعه الرائد (عصام)..

وصل غرفة المكتب، دخل وجلس على مقعده بينما استراح الرائد (عصام) أمامه، مد يده إلى أحد أدراج مكتبه، وأخرج علبة دواء، شرب منها حبة مع كوب الماء الذي كان أمامه، وقال بصوت متعب وحيرة كبيرة:

ـ رأسي يؤلمني، هل ما رأيناه كان مجرد خيال أو هذيان؟!

سكت الرائد (عصام) قليلًا، وهو ينظر إلى اللواء (أكرم)، قبل أن

يقول:

ـ من الممكن أن نطلب من (معاذ) أن يتأكد من الكاميرات لو أردت، لكن ما رأيناه كان حقيقيًا بالطبع، ليس خيالًا ولا وهمًا، لكن هناك عالم هائل من الخدع والتقنيات التكنولوجية، وما خضته معك قبل قليل كان تجربة جديدة مباشرة، ولهذا لم نعرف شيئًا عن هذا الرجل، ولا حتى اسمه..

وتنهد ثم قال:

ـ الغريب أنني سألت الرجال عند البوابة، أنكروا أنهم رأوا رجلًا بهذه المواصفات، أخبرتهم عن شكله ولحيته وبذلته الرسمية، لكنهم لم يعرفوه أو يميزوه.. قلت للضباط بعدها إن الاتصال أتاني من هنا، من هذا الرقم، رقم إدارة البحث الجنائي، وأنَ من أبلغني هو ضابط اسمه (جميل)، هو من أخبرني عنه..

قال اللواء (أكرم):

ـ وأين (جميل) هذا بالضبط؟! ما الذي قاله؟!

قال الرائد (عصام) بعد أن ابتلع ريقه:

ـ كانت صدمة كبيرة لي عندما عرفت أنه لا يوجد في الدائرة كلها ضابط اسمه (جميل) يا سيادة اللواء!

اتسعت عينا اللواء (أكرم):

ـ ماذا؟!

قال (عصام) بعد أن تنهد، بكل ضيق:

ـ خدعة جديدة يا سيادة اللواء، هناك جهة غامضة تلعب معنا وبنا، جهة تملك تكنولوجيا غير مسبوقة..

هز اللواء (أكرم) رأسه، وقال:

ـ اتصل بالطبيب الشرعي فورًا، وأخبره عن البصمات..

سأل الرائد (عصام):

ـ بصمات (نادر) و(تمارا)؟!

قال اللواء (أكرم) وهو يهز رأسه:

ـ نعم، نريد منه تقريرًا كاملًا، ونريد أن يقرأ كل تفاصيل الطب الشرعي المتعلقة بـ (مازن صبري) و(عبد الله خليفة) أيضًا..

قال الرائد (عصام) بدهشة:

ـ (مازن) و(عبد الله) أيضًا؟! لماذا؟!

أخذ اللواء (أكرم) نفسًا عميقًا وقال:

ـ من باب الاحتياط، ولا تنسى أنّ الرجل الغامض طلب منا الاطلاع على بصمات (نادر) و(تمارا) والبقية.. أي بقية يقصد برأيك؟! (مازن) و(عبد الله) بالتأكيد! لا يوجد آخرين للتأكد منهم ومن بصماتهم!

اتصل الرائد (عصام) مباشرة بالطبيب الشرعي، وتأكد منه أنه قام بأخذ صور عن بصماتهما، قبل أن تذوب الجثتان، وأخبره أن فعل هذا طبعًا، وبعدها طلب منه أن يستخرج تقارير وصور (مازن) و(عبد الله) من الأرشيف الإلكتروني..

أشعل الرائد (عصام) سيجارة، وقال بعد أن سحب نفسًا منها:

ـ وما الذي سيحدث الآن يا سيادة اللواء؟!

أشار اللواء (أكرم) نحو الباب، وقال:

ـ ارجع إلى المطار طبعًا، سننتظر ونرى ما الجديد الذي قد يضيفه لنا الطب الشرعي، وسننتظر ما الجديد عند (معاذ) بشأن الطائرة، هل هي فعلا مفقودة وليس لها أي أثر إطلاقًا ولا يمكننا العثور عليها؟! أم أنها مختفية عن الرادار بنفس طريقة اختفاء (عبد الله) عن الشاشات بتلك

التكنولوجيا التي معه؟! وأيضًا نريد توسعة نطاق البحث عن معنى الكلمة الغامضة تلك.. نوفاتيرا..

هز الرائد (عصام) رأسه:

- حسنًا، حسنًا..

قالها ونهض لكن كان يبدو على وجهه علامات التفكير العميق!

قال - بينما اللواء (أكرم) يتأمله باهتمام، وهو ينتظر منه بلهفة ما يريد أن يقوله:

- سيادة اللواء، أريد أن أعرف تاريخ كلّ واحد منهم..

قال اللواء (أكرم):

- تاريخ من؟!

بصرامة قال الرائد (عصام):

- كلهم.. (نادر) و(تمارا) و(مازن) و(عبد الله)! أريد رؤية ملفاتهم كاملة من الأرشيف، كلام الرجل الغامض عنهم زاد غموضهم أكثر أمامي.. يجب أن أقرأ عنهم كل شيء، كي أتأكد من بعض الأسئلة التي تدور في رأسي..

سحب اللواء (أكرم) ورقة من درج مكتبه، وقعها وختمها وأعطاها للرائد (عصام) وقال:

- تفضل، هذا تفويض كامل، المهم عندي أن نجد بعض الأجوبة، أنت لا تتخيل حجم الأسئلة التي يتم توجيهها إليّ كل نصف ساعة، الجميع في حالة قلق هائلة..

بعد أن دار هذا الحديث بنصف ساعة، كان الرائد (عصام) في السيارة ومعه مجموعة من الملفات؛ فيها كل شيء عن الأربعة، عن (عبد الله خليفة) مدير الملكية السابق، و(مازن صبري) المساعد الإداري، و(نادر

عبد العزيز) الطيار، وزوجته (تمارا محسن)..

رن عليه الملازم (طارق):

ـ أين أنت يا (عصام) بيك؟! لم نعرف ما الذي حدث معك ومع الرجل الذي أتى لرؤيتك!

قال الرائد (عصام):

ـ سأخبرك حين آتيك بعد قليل، وصدقني، لن تصدقني!

كان يفكر إنه يريد بعض الإجابات..

الأسئلة كثيرة جدًا..

يجب أن تكون هناك أجوبة!

يجب أن يجد (معاذ) شيئًا أو خيطًا ما، بشأن مكان الطائرة المختفية..

يجب أن يعود الطبيب الشرعي بمعلومة مفيدة، بشيء غامض أو غير مفهوم أو مثير للتساؤلات، بما يتعلق بالبصمات..

يجب أن يقرأ الملفات بشكل كامل، هو والملازم (طارق) والملازم (حمزة)، لربما كان هناك شيء مفيد، إشارة لحل ما، إجابة لأي شيء من كل هذا الغموض..

أي شيء!

فجأة رن هاتفه من جديد، استغرب جدًا من كون الملازم (طارق) هو الذي يتصل..

رد عليه وهو يهتف:

ـ (طارق)؟! أنهيت الاتصال معك منذ دقائق!

أتاه صوت (طارق)، مندهشًا..

ومذهولا..

ويرجف حتى أقصى حد!

كان يقول بنبرة مرتعشة:

ـ أين أنت يا (عصام) بيك؟! هل اقتربت؟!

بقلق هائل رد عليه وقال:

ـ بالطريق وعلى وشك الوصول، ماذا هناك؟!

قال الملازم (عصام):

ـ اتصل معي الطبيب الشرعي..

بلهفة قال الرائد (عصام):

ـ وما الذي قاله؟!

سكت الملازم (طارق) قليلًا، وبعدها قال:

ـ قال إنه عندما تأكد جيدًا من صور بصمات (نادر) و(تمارا) اكتشف شيئًا غريبًا جدًا..

قال الرائد (عصام) بفضول شديد:

ـ وهو؟!

قال الملازم (طارق) ببطء:

ـ البصمات معكوسة!

سكت الرائد (عصام) لثوانٍ..

حاول أن يستوعب الكلمة، ثم قال:

ـ ما الذي تقصده بأنّ البصمات معكوسة؟!

أجابه الملازم (طارق) بانفعال:

ـ البصمات ليست مثل البصمات الطبيعية.. بصمات غير عادية، معكوسة، الخطوط بدلا من أن تكون بحركات متموجة نحو الداخل، لا، الخطوط متموجة نحو الخارج! وهذا شيء يراه لأول مرة في حياته، كطبيب شرعي..

قلب الرائد (عصام) الكلام في رأسه عدة مرات، وسأل:

ـ وما الأمر الآخر؟!

فاجأه الملازم (طارق) بقوله:

ـ هذا الأمر يتكرر أيضًا في صور بصمات (مازن صبري) و(عبد الله خليفة)! أيضًا بصمات أيديهما معكوسة!

شهق الرائد (عصام) بقوة:

ـ يا إلهي!

هز الملازم (طارق) رأسه:

ـ نعم يا (عصام) بيك، التفاصيل مدهشة وغامضة جدًا..

تمتم الرائد (عصام) وهو يطلق زفرة حارة:

ـ سأصل بعد قليل يا (طارق)، هناك فكرة أو نظرية مجنونة للغاية، بدأت تختمر في رأسي..

قالها وأغلق الخط ومخه يدور..

والنظرية تتبلور في رأسه أكثر، وأكثر، وأكثر..

وفعلًا بأقل من ربع ساعة كان قد وصل، أمسك الملفات وبأقصى سرعة وصل غرفة المراقبة، أشار بعينيه للملازم (طارق) و(حمزة)، اقتربا منه، خرجوا كلهم باتجاه منطقة بعيدة نوعًا ما، أشبه بساحة

فارغة، داخلية..

فور أن وقف الجميع، قال الملازم (حمزة) فجأة:

ـ هل سمعت عن كِتاب (الفتن) يا (عصام) بيك؟!

قال الرائد (عصام) وهو يلتفت:

ـ كِتاب (الفتن)؟! لا، ما هذا بالضبط؟!

أخذ الملازم (حمزة) نفسًا عميقًا، وقال:

ـ كتاب (الفتن) عمره مئات الأعوام، كتبه شخص اسمه (نعيم بن حماد)، ستجد عن هذا الكتاب الكثير من الكلام الذي يشيد بمؤلفه أو يسيء إليه؛ لأنّ محتواه مثير للجدل إلى حدّ كبير..

قال الملازم (طارق) بفضول:

ـ وما علاقة هذا الكتاب بما نحن فيه يا (حمزة)؟!

ابتسم الملازم (حمزة) وقال، مديرًا عينيه في عيون الجميع:

ـ قرأت الكتاب عدة مرات بعد أن نصحني صديق لي ـوهو كاتب روائي اسمه (عدنان طاهر)ـ أن أقرأه، وفعلا قرأته واستغربت من الكلام والسطور التي قد تبدو للكثيرين أشبه بالتنبؤات أو الأحلام الخيالية، الكِتاب يقول بوضوح إن هناك الكثير من العلامات التي تشير إلى انتهاء الزمان وبداية الزمان الجديد، الأمر كان مثيرًا وغريبًا بالنسبة لي، سمعنا جميعًا عن انتهاء الزمان، لكن بداية الزمان الجديد كان شيئًا جديدًا جدًا بالنسبة لي..

رفع الرائد (عصام) أحد حاجبيه متسائلًا:

ـ ليس لما قلته علاقة بما سألك عنه (طارق) يا (حمزة)!

أشار الملازم (حمزة) بيده:

ـ على العكس تمامًا يا (عصام) بيك، الكتاب يتحدث عن نهاية العالم وبدء العالم الجديد، الحياة الجديدة الثالثة، ولا يُفسر أي شيء بكلامه عن الحياة الجديدة الثالثة، يقول العبارة عدة مرات دون تفسير، مما يزيد من الغموض أكثر بكثير، ثم هناك تلك النبوءات المنتشرة في كل فصول الكتاب، والتي رأينا بعضها، لا شك أنكم تتذكرون هذا..

قال الملازم (طارق) بحذر، وهو يحك ذقنه:

ـ نبوءات عن ماذا؟!

قال الملازم (حمزة) بانفعال:

ـ المشكلة أنّ كلامه ممتلئ بالرموز والكلام غير المفهوم، ولكن يمكن لأي شخص أن يرى أنه تحدث في نبوءاته عن الحروب في بعض الدول العربية، وعن عزل وقتل بعض الرؤساء، وعن الحرائق التي حدثت في غابات الأمازون، وعن حرائق غابات (لبنان)، وعن براكين في (الأرجنتين) و(البرازيل)، وعن زلازل في (تركيا) و(تشيلي)، بمعنى آخر؛ الرجل كتب عن الكثير من الأحداث الطبيعية التي سيؤدي تسلسلها هكذا إلى النهاية..

قال الرائد (عصام):

ـ هو (نوستراداموس) آخر إذًا؟!

هز الملازم (حمزة) رأسه وقال:

ـ كلام المتنبئ الشهير (نوستراداموس) ـبشكل عامـ كان يشير إلى الكثير من الأمور، لكن كلام (نعيم بن حماد) في كتاب (الفتن) هذا كان واضحًا أكثر، وبشكل مخيف، وأذكر الآن أنه كانت هناك بعض السطور عن أشياء أخرى، مثل أمـ..

فجأة قاطعه رنين اتصال هاتف الرائد (عصام)، فبتر عبارته على الفور، ليجيب الرائد (عصام) الاتصال ويقول:

ـ نعم، معك..

وصمت قليلًا وهو يستمع قبل أن تتغير انفعالات وجهه بالكامل وهو يقول بدهشة بالغة:

ـ ماذا؟!

وصمت مجددًا قبل أن ينهي الاتصال، ويلتفت إليهم:

ـ لن تصدقا ما الذي كانت تمطره السماء قبل قليل؛ فوق منطقة البحر الميت..

سارع الملازم (حمزة) للقول بابتسامة ظفر كبيرة، قبل أن ينطق الملازم (طارق) بحرف واحد:

ـ ضفادع يا (عصام) بيك! أليس كذلك؟! كانت السماء تمطر الكثير من الضفادع!

* * *

كان الأمر أشبه بمفاجأة مزدوجة..

غير متوقعة..

ولا مألوفة!

السماء تمطر ضفادع فوق منطقة البحر الميت، والملازم (حمزة) الذي أكمل العبارة، متوقعًا ما سيقوله الرائد (عصام)..

بذهول قال الملازم (طارق):

ـ كيف؟! كيف عرفت؟!

قال الملازم (حمزة):

ـ هذا ما كنت سأقوله مباشرة قبل أن يأتي الاتصال للرائد (عصام)، أمطار الضفادع، كرّرها مؤلف الكتاب عدة مرات، وقال إنها ستحصل

عدة مرات في عدة أماكن، دون أن يعطي تفسيرًا لهذا، لكن ومن باب التأكيد، وكما قلت لكما، يبدو أننا في الطريق لما يُطلق عليه نهاية العالم أو نهاية الزمان، مع أنّ (نعيم بن حماد) لم يقل هذا بل أطلق مصطلحًا آخر، وهو بداية الزمان الجديد، أو بداية العالم الثالث، ولم يفسر ما قاله إطلاقًا..

عمّ الصمت قليلًا والكل يفكر، قبل أن يقول الملازم (طارق) وهو يشير بيده:

- بعيدًا عن كل هذا، كنت تريد أن ترينا شيئًا يا (عصام) بيك، كانت هناك فكرة أو نظرية في رأسك، وكنت تريد أن تقولها لنا..

نظر إليه الرائد (عصام)، وتنهد بقوة، ثم قام بفرد الملفات التي كانت معه أمامهما على الطاولة، وطلب منهما التنبه جيدًا إن وجد أي منهما أي شيء غامض أو غير منطقي عن الأربعة، (مازن صبري) و(عبد الله خليفة) و(تمارا محسن) و(نادر عبد العزيز)..

كان من المفترض أن يكون بالملفات تقارير عنهم، أوراق رسمية، شهادة؛ ميلاد، دراسة، كل شيء عنهم منذ لحظة الولادة وحتى الممات، ولكن الغريب أنه وبعد دقائق من البحث في الملفات، لم يكن هناك الكثير من الأوراق!

لا يوجد شهادات ميلاد، للقتلى الأربعة... لا يوجد مخالفات سير، أو عقود إيجار، أو فواتير كهرباء أو ماء أيضًا.. لا يوجد شيء إلا سيرة ذاتية، وشهادات فقط!

وهنا كانت الصدمة..

ملف (تمارا) كان ممتلئًا بالخبرات، مثل كل الملفات..

القتلى الأربعة، كلهم، كانت خبرتهم كبيرة بمجال الطيران، ومعهم شهادات من كل مكان في هذا الشأن..

لكن، قبل هذه الشهادات لم يكن هناك شيء!

ـ ما الذي يعنيه هذا يا (عصام) بيك؟!

قالها الملازم (حمزة) وهو يرتجف؛ فقال (عصام):

ـ هذا يعني أننا أمام عملية اختراق داخلية، ذكية جدًا، بدأت منذ عشرين سنة، بناءً على شيء مكتوب في أهرامات المايا، وصولًا لليوم، مع القمر الأحمر، ومع النيزك الذي في السماء!

سؤال:

ـ هل الأربعة جواسيس أو مندسّون؟!

جواب:

ـ نعم مندسّون!

بحيرة شديدة قال الملازم (حمزة):

ـ لكن من الذي قام بدسّهم منذ عشرين سنة؟! ومن قام بقتلهم إن كانوا مندسّين؟!

قال الملازم (طارق) بحيرة كبيرة:

ـ من يقتل من؟! ولماذا بالضبط؟!

أتاهم الجواب فجأة من ورائهم:

ـ أنا..

التفت الثلاثة بحركة حادة، و..

شهق الرائد (عصام) من المفاجأة المذهلة!

أمامه مباشرة، كان آخر شخص يتوقع رؤيته الآن..

أو بأي وقت..

شخص من المفترض فيه أن يكون ميتًا منذ أمس، وأن جثته ذابت أيضًا..

كابتن الطائرة..

(نادر عبد العزيز)!

* * *

9

الصدمة كانت هائلة، أكبر من أيّ مرة..

أثر المفاجأة المذهلة كان غير طبيعي، كان واضحًا بشدة على الرائد (عصام) مع الملازم (طارق) والملازم (حمزة)، وهم يحدقون بالشخص الذي أمامهم..

(نادر عبد العزيز)!

الطيار الذي من المفترض أنه مات، وأنّ جثته ذابت..

الطيار الذي قبل قليل عرفوا عنه أن بصماته معكوسة، وأنه دون تاريخ فعلي حقيقي، أي أنه شخص مزيف ووهمي بالكامل، تمامًا كما وصلتهم المعلومات عن زوجته (تمارا محسن)، والمساعد الإداري (مازن صبري)، ومدير الملكية الأردنية السابق (عبد الله خليفة)..

بعد كل هذا، (نادر) أمامهم..

حيّ!

حيّ، ويقول إنه هو الذي قتل المدسوسين الأربعة..

والذي هو منهم أساسًا!

ما هذا؟!

هل قتل نفسه؟!

هل فعلها ليبعث بعدها من جديد، ويقف أمامهم هنا؟!

كيف؟!

أين؟!

ما كل هذا العبث؟!

بعد ثوان من الدهشة والذهول، سحب الثلاثة مسدساتهم بحركة غريزية، وصوبوها باتجاهه مباشرة، والرائد (عصام) يقول بصرامة وقوة، بينما انتبه بعض القريبين منهم إلى ما يحدث:

ـ مستحيل! أنت لست (نادر)!

حافظ (نادر) على ابتسامته، وقال وهو يرفع يديه:

ـ أنا (نادر) يا (عصام) بيك، وسأفسر لك كل شيء..

بسرعة وعصبية اتجه الملازم (طارق) و(حمزة) نحوه وأمسكا به، بينما استمر الرائد (عصام) بتوجيه المسدس نحوه، اقترب منهم بعض الضباط ولا إراديًا وجهوا مسدساتهم إليه..

أشار الرائد (عصام) إليهم كي يذهبوا جميعًا نحو الغرفة، التي فيها (معاذ) و(أيمن) و(عبد الغفار)، والذين غمرهم شعور الدهشة والصدمة، وهم يرون (نادر) يدخل الغرفة بينما يصوب الكل مسدساتهم نحوه بطريقة متحفزة..

جلسوا، ومرت دقائق، أخرج فيها الرائد (عصام) جميع من ليس لهم علاقة من الغرفة، وأسكت بعض الأصوات، ثم أجرى مكالمة سريعة مع اللواء (أكرم) وعاد إليهم، كان (نادر) قد وضع يديه أمامه، وهو ما يزال يبتسم، والملازم (طارق) و(حمزة) مستمران بتصويب مسدسيهما إليه، وبقية الموجودين ينظرون إليه بقلق وتوتر شديدين..

قال الرائد (عصام) بحدة وانفعال:

ـ من أنت؟!

قال (نادر) بهدوء:

ـ أنا (نادر عبد العزيز)..

قال الرائد (عصام) بعصبية:

ـ مستحيل! (نادر) كان مختفيًا، وبعدها مات بأحد مراكزنا الأمنية، وبعدها اختفت الجثة تمامًا، بعد تأكدنا من أنها جثته، وأنت لست هو، أنت لست (نادر)..

قال (نادر) بغموض:

ـ أنا (نادر) يا (عصام) بيك.. أنا (نادر) الحقيقي!

الكلمة كانت غريبة..

وغامضة جدًا!

تمتم الملازم (طارق) بذهول:

ـ (نادر) الحقيقي؟!

وقال الرائد (عصام) بحيرة بعد أن عقد حاجبيه بشدة:

ـ ما الذي تقوله؟!

قال (نادر) بنفس الهدوء:

ـ أنا (نادر) الحقيقي يا (عصام) بيك، ولو قمتم بفحص الجثث الأربعة لعرفتم أن البصمات معكوسة..

قال الملازم (حمزة) بلهفة:

ـ أخبرنا الطبيب الشرعي قبل قليل إن البصمات معكوسة! نعرف هذا!

لكن ما شأن هذا الأمر بك أنت، وبحقيقة أنك (نادر) الحقيقي كما تقول؟!

التفت إليه (نادر) ورمقه بنظرة جانبية سريعة، قبل أن يقول:

ـ الأربعة بصماتهم معكوسة، ودون أي تاريخ حقيقي، أشخاص وهميون مزيفون، وبدأ مسلسل قتلهم منذ عشرين سنة، بناءً على نبوءات مكتوبة من قبل حضارة المايا، نفس النبوءات المرتبطة بظهور القمر الأحمر العملاق!

هتف الملازم (طارق) متجاوزًا دهشته:

ـ وما العلاقة بين هؤلاء؟! ومن أنت فعلًا إن كان (نادر) ميت منذ أمس، وجثته ذابت، حتى لو كانت البصمات معكوسة؟!

صمت (نادر) قليلًا، ولم يعلق..

قال بعدها وهو ينظر في عيون الرائد (عصام) مباشرة:

ـ أنا (نادر) الحقيقي يا (عصام) بيك، والأربعة الذين قمت بقتلهم ليسوا من هذا العالم..

حدق فيه الرائد (عصام) بدهشة..

ليسوا من هذا العالم؟!

قال بغضب وهو لا يفهم شيئًا:

ـ ماذا؟!

لوح (نادر) بيديه، وعيون الجميع عليه بكل تركيز:

ـ ليسوا من هذا العالم، بل من عالم آخر، عالم موازٍ لعالمنا، نفس الكوكب والمدن والناس، ولكن مع الوقت بدأت فيه تغييرات تكبر وتتحول بشكل كبير على المستوى البعيد، هناك دول ليست موجودة في عالمكم، ورؤساء موتى عندكم، لكنهم ما زالوا على قيد الحياة

عندهم، هناك أشخاص فقراء في هذا العالم لكنهم أثرياء في ذلك العالم، أو متزوجين في هذا العالم ولديهم بعض الأطفال، لكنهم لم يتزوجوا بعد في ذلك العالم، هل سمعتم يومًا بالعوالم المتوازية؟!

هتف (معاذ):

ـ نظرية معروفة ولم أتخيل يومًا أنها ستكون حقيقية، وأنني سأرى جزءًا منها، لكن ما دليلك على ما تقوله؟! ما الإثبات الذي تملكه بين يديك ليؤكد أنك لا تخترع شيئًا من بنات أفكارك؟!

قال (نادر) بعد أن أخذ نفسًا عميقًا:

ـ الجثث الأربعة يا سادة، جثث المدسوسين، تعود لجواسيس من العالم الثاني الموازي للأرض، كانت مهمتهم هي تزويد علماء العالم الثاني بتقارير مستمرة عن الطيران بعدة أماكن من العالم كله، لكن النقطة الأهم كانت هنا؛ في (الأردن)..

تساءل الملازم (طارق):

ـ لماذا؟!

أجابه (نادر):

ـ بسبب القرب من بحيرة (طبريا)، والتي مدفون في قاعها مركبة آلية قديمة مزودة بتكنولوجيا هائلة ومتطورة منذ آلاف السنين، والتي كانت أشبه بحلقة وصل مع مركبة أخرى، مدفوعة بأحد المباني القديمة في منطقة (البتراء)..

هز (معاذ) رأسه وهو يحاول الفهم، بينما اكتفى البقية بالصمت دون تعليق، مما جعل (نادر) يكمل:

ـ هذا الأمر كان سببًا بمجال كهرومغناطيسي غير مرئي، قوي جدًا؛ لذا كان لا بد بالنسبة لهم أن يكون هناك جواسيس بالمطار، منذ عشرين سنة وأكثر، كي يمنعوا حصول الشيء الذي أحاول أن أفعله!

بعصبية شديدة قال الرائد (عصام):

ـ وما الشيء الذي تحاول أن أفعله؟!

قال (نادر) بهدوء:

ـ منع الكارثة!

صرخ الرائد (عصام):

ـ أي كارثة؟!

قال (نادر) ببطء:

ـ فناء الأرض!

* * *

تبادل الجميع نظرات قلقة ومتوترة..

قال الملازم (طارق):

ـ فناء الأرض؟! هل سيحدث هذا بسبب النيزك الذي يتكلم عنه الجميع الآن؟!

قال (نادر) بعد أن تجاهل السؤال:

ـ قبل عشرين سنة ظهر القمر الأحمر العملاق فوق المايا، بهذه اللحظة كنت قادرًا على أن أظهر هنا، وأن أتجسد مجددًا في هذا العالم، وأن أستطيع قتل (عبد الله خليفة)، وتكرر نفس الأمر قبل عشر سنوات عندما قتلت (مازن صبري)، كان يجب أن أقتله؛ لأنه لا يوجد شخص يستطيع قتله أو يمكن أن يقنع أحدًا بقتله سواي، يجب أن أفعل أنا ذلك، ويجب أن يحدث هذا بنفس الوقت الذي يظهر فيه القمر الأحمر كي تكون الموجات والترددات الخاصة بي بنفس المستوى معه هو ومع جسده، آلية ارتباط القمر العملاق بهذا الأمر كانت غامضة جدًا لنا منذ البداية، ولم نكن نفهمها كما كانت، لكننا فعلنا ما يجب فعله في النهاية،

بالذات حين كررت الأمر مجددًا، وقتلت (نادر) الثاني، وزوجته (تمارا)..

شعر الرائد (عصام) أن هذا فيض هائل من المعلومات مرة واحدة، وأنه مجددًا لا يفهم شيئًا!

سأل باهتمام وعصبية:

- (نادر) الثاني؟! هل هذا يعني أن (نادر) المقتول وزوجته من العالم الثاني بينما أنت من هذا العالم؟!

أجاب ببساطة وكأن الأمر بديهي:

- نعم، من هذا العالم، من هذه الأرض..

نهض الرائد (عصام) وشهق وزفر بقوة، وقال:

- لكنك تقول إنك رجعت قبل عشرين سنة وقتلت (عبد الله)، وإنك قبل عشر سنوات رجعت وقتلت (مازن)، وبالأيام الماضية قتلت (نادر) الثاني وزوجته! أنت.. أين كنت أساسًا؟! وكيف عرفت عنهم مجددًا؟! ولو لم تقتلهم ما الذي كان سيحدث؟! أريد أن أفهم! أين كنت ومن أين عدت؟!

ابتسم (نادر) وقال:

- كنت في العالم الثاني يا (عصام) بيك!

قال الرائد (عصام) بدهشة:

- ماذا؟!

أجابه (نادر):

- كنت بالأرض الثانية، العالم الموازي الثاني، ومن هناك كنا نراقب ونرى ما الذي يفعلونه هنا، من دون أن نستطيع فعل أي شيء إلا حين يظهر القمر الأحمر العملاق، وقتها فقط كنت أنا الشخص الوحيد الذي أستطيع أن أظهر في هذا العالم بما أنني الشخص الوحيد الذي في

العالم الثاني، أي أنني الوحيد من عالمنا الذي في ذلك العالم الثاني.. هُناك أنا الوحيد الذي بصماتي عندهم معكوسة، عكس جميع من في ذلك العالم، تمامًا مثل الأربعة المدسوسين، والذين اكتشفتم أن بصماتهم في عالمنا معكوسة..

حاول الرائد (عصام) أن يجاريه؛ فقال:

ـ ولأنك من هناك، كنت قادرًا أن تعود هُنا من جديد؛ فقط مرة واحدة كل عشر سنوات؟!

هز (نادر) رأسه:

ـ نعم؛ فقط كل عشر سنوات، وهذا بسبب القمر الأحمر العملاق، والذي كان ظهوره يسبب فجوة بين العالمين، وهذا الفجوة هي التي كنت قادرًا أن أعود هنا عن طريقها، لأقتلهم، وأعود للعالم الثاني..

تساءل الرائد (عصام):

ـ لماذا لم تبق هُنا في هذا العالم؟! عالمك؟!

قال (نادر) بمرارة:

ـ كان يجب أن أبقى هناك كي يدرسني (فاروق)، هو ومن معه، وكي نصل سويًا إلى حل منطقي، نمنع فيه كارثة النيزك التي ستقضي على الحياة في كوكب الأرض..

قال الملازم (طارق) بعدم فهم:

ـ من (فاروق) بالضبط؟!

ابتسم (نادر) وقال:

ـ (فاروق) هو ابني الوحيد، جاءني وأخبرني عن الأمر بشكل كامل، وشرح لي تفاصيل كل شيء، وأعطاني الكثير من الإثباتات التي تؤكد ما يقول، فصدقته واقتنعت، لذا كان لا بدّ أن أذهب معه إلى العالم

الموازي، كي نطلب منهم المساعدة، مساعدة هذا العالم، وصدقني؛ لولا التكنولوجيا الهائلة التي كانت بحوزة (فاروق) لما صدقوه ولا صدقوني..

ما هذا الغموض؟!

هناك حلقة ناقصة!

شعر الرائد (عصام) أنّ هناك حلقة ناقصة!

سأل بدهشة:

ـ ما الذي تقصده بأنّ ابنك (فاروق) جاءك؟! وما التكنولوجيا التي كانت بحوزته بالضبط؟!

ضحك (نادر) وكان من الواضح أنه مستمتع باستغرابهم الهائل، قبل أن يقول جوابه الذي جعل الكل في حالة صدمة جديدة، أكبر من كل الصدمات التي مروا فيها من قبل:

ـ (فاروق) ليس من هذا الزمن يا (عصام) بيك..

قال الرائد (عصام):

ـ ماذا؟!

التفت (نادر) ونظر في عيونهم جيدًا قبل أن يقول:

ـ ابني (فاروق)، جاءني من المستقبل!

* * *

الهدوء، والصدمة، والمفاجأة..

هذا ما كان ينقصهم تمامًا!

ابنه (فاروق) جاءه من المستقبل وأقنعه؟!

أقنعه بماذا؟!

بالذهاب إلى العالم الموازي؟!

لا أفهم..

لا أفهم..

لا أفهم!

فكر فيها الملازم (طارق) بصعوبة، بينما تمتم الملازم (حمزة):

- مِن.. مِن المستقبل؟!

وقال الرائد (عصام):

- جاءك ابنك من المستقبل؟!

قال (نادر) وهو يميل برأسه:

- لا أعرف متى بالضبط (عصام) بيك، لكن فجأة وأنا جالس مع ابني الصغير (فاروق)، والذي كان عمره ثلاث سنوات، والذي كنت أربيه بنفسي بعد وفاة أمه أثناء الولادة، اختفى من أمامي! تلاشى بغتة، وانفتحت فجوة سوداء في الهواء، مع صوت صفير وهواء بارد قوي، ودخل منها شخص قصير القامة ولحيته طويلة نوعًا ما، وكان يرتدي ملابس سوداء، وعرف عن نفسه أنه (فاروق)، ابني، ولكن لا يمكن لنفس الشخص أن يتواجد مرتين بنفس الزمن، ولهذا تلاشى الصغير وبقي الكبير، وفي حالة غياب الكبير سيعود الصغير للظهور.. المهم أنه جعلني أرى كل ما بحوزته من إثباتات، وتأكدت أنه (فاروق) ابني، وأنه من المستقبل..

رغم العبثية الهائلة بكل ما يقوله، إلا أن الرائد (عصام) تجاهل الصداع الهائل الذي يعصف برأسه وقال:

- لماذا؟!

قال (نادر) بأسف:

ـ النيزك وصل إلى الأرض ودمرها بشكل نهائي، وماتت كل أشكال الحياة لسنوات طويلة، ولكن نسبة قليلة من الذين عاشوا واستمروا استطاعوا لاحقًا أن ينشئوا حضارة جديدة، اعتمادًا على ما تبقى من الكنولوجيا السابقة، بالذات مع تواصلهم مع العالم الثاني، والذين كانوا على تواصل مباشر أيضًا مع حضارة (المايا)..

قال (معاذ) باهتمام:

ـ تواصل مباشر؟!

أجابه (نادر) مباشرة:

ـ أي أنَ عندهم آلات زمن.. وحتى لو كانت حضارتهم مندثرة منذ آلاف السنين، كانوا يستطيعون وبأوقات محددة وقليلة جدًا أن يعودوا بالزمن أو أن يتواصلوا مع أشخاص في أزمنة مختلفة، ولهذا من ضمن كل الناس الذي تواصلوا معهم؛ كان ابني (فاروق).. هو أكثر الأشخاص إثارة للإعجاب بسرعة البديهة، رأوه لماحًا وذكيًا جدًا، هذا جعلهم ينظرون إليه بطريقة مختلفة، وطلبوا منه أن يتواصل معي، كي نحاول إنهاء الأمر قبل أن يبدأ، وأن نمنع الكارثة..

قال الرائد (عصام) وهو يفكّر:

ـ كيف عرفوا عن الكارثة؟! ولماذا كتبوا عنها؟!

تمتم (نادر):

ـ تواصلهم عبر الزمن مع أصحاب العالم الثاني كان مستمرًا، ولهذا كان التدوين من باب التحذير، بحيث لو لم تكن النجاة عن طريقهم فربما كانت عن طريق أشخاص آخرين.. الورقة الأخيرة بين أيديهم، (فاروق)، والذي قرر أن يستعين بي، بما أنني الوحيد الذي من الزمن الحاضر ومن عالمنا الحالي، بعكسه هو؛ الذي من المستقبل البعيد،

وبعكس كل الذين من العالم الثاني، والتي لن تساعدهم موجاتهم وترددداتهم بعمل أي شيء..

قال الرائد (عصام):

ـ دعني أسألك عن الأربعة المدسوسين، والذي قمت بقتلهم؛ أنت تقول إنهم كانوا من العالم الثاني، وكان كل منهم في موقعه، ولم يحدث معهم أي خلل زمني، لكن، السؤال الذي لا بدّ من جواب له، لماذا لم يساعدك الشخص أو الجهة التي طلب (فاروق) مساعدتهم من العالم الثاني، والذين كانوا هنا في هذا العالم؟!

قلب (نادر) كفيه، وقال وهو يمط شفتيه:

ـ لا نعرف مدى وقوة التكنولوجيا التي كانت مع الأربعة المدسوسين، لكن كما جاءني (فاروق) من المستقبل، حدث معهم مثلي، جاءهم أشخاص من المستقبل وساعدوهم.. نحن نريد أن نمنع الكارثة وأن نمنع النيزك من إنهاء الحياة على الأرض، بينما الذين قاموا بدسّ الأربعة يريدون أن يحصل هذا للأرض، هذا يعني الكثير من الثروات الطائلة والقدرات المذهلة والسلطات العالية..

وأخذ نفسًا عميقًا، وقال وهو ينظر للرائد (عصام):

ـ نحن نريد أن نمنع حصول الكارثة، وهم يريدون منعنا من منع حصول الكارثة! ولهذا قتلتهم..

قال الرائد (عصام) بفضول:

ـ كيف تريدون منع الكارثة؟! هل هناك خطة معينة كنتم تريدون تنفيذها لكنها تحتاج وقتًا؟! أم ماذا؟!

أجابه (نادر):

ـ نعم، قمنا بعمل الكثير من الإجراءات التي لا بدّ منها، كلها محاولات تشير أننا اقتربنا من النجاح، لكنّهم كانوا دومًا يحاولون أن يقفوا في

دوت الكتب حرامية

طريقنا، كما فعلوا، وكما سيستمرون دومًا في أفعالهم، ولهذا أيضًا قبل ساعات قليلة منعوا ابني (فاروق) أن يخبرك بالمزيد يا (عصام) بيك، عندما كان معك ومع اللواء..

قال الرائد (عصام) بذهول:

- الذي كان معنا في غرفة الاستقبال هو ابنك؟!

هز (نادر) رأسه إيجابًا:

- نعم، (فاروق).. قاموا بسحبه عبر فجوة سوداء، ولكن ليس إليهم، هذه فجوة غايتها هي قطع الاتصال، ولهذا لم يستطع أن يكمل كلامه معكم؛ لأنه من الممكن أن تزيدوا من احتمالية أو إمكانية منع الكارثة.. هذا ما فعلوه..

قال الرائد (عصام) وعلى وجهه علامات تفكير عميق:

- ألهذا السبب لم يره أحد سواي أنا واللواء (أكرم)؟! ولم يظهر على الكاميرات؟!

قال (نادر):

- بالضبط، التكنولوجيا المستخدمة للربط ما بين الأزمان الماضية والحاضرة والقادمة، والعوالم المتوازية، غريبة ومتطورة ومعقدة جدًا، ولهذا كانت هناك أمور من السهل تفسيرها، وأمور أخرى يصعب عليَّ تفسيرها، ويجب أن تروها حتى تفهموها، لكن أعتقد أنني أوضحت الكثير لكم الآن..

قال (نادر) العبارة.. بينما ما تزال هناك حيرة كبيرة معلقة في الجو، وواضحة على ملامحهم..

هناك العديد من الأسئلة..

هناك الكثر من الفجوات الغامضة، المجهولة!

دودة الكتب حرامية

قال (معاذ) فجأة وهو يضغط على أزرار لوحة المفاتيح أمامه:

ـ بخصوص الطائرة المفقودة، وجدتها أخيرًا، وعرفت مكانها، هي وبقية الطائرات..

هتف بالعبارة بكل حماس الدنيا، والتفت الجميع إليه بلهفة، إلا الرائد (عصام) الذي لم يلتفت كثيرًا لهذا الأمر، بقدر ما كان ينظر بتركيز شديد إلى ملامح (نادر)، التي كانت صادقة جدًا عندما كان يخبرهم بكل التفاصيل بدقة..

قال الملازم (طارق) وأعصابه مشدودة، وعيون الجميع تنظر إلى الشاشة بفضول كبير:

ـ أين الطائرة؟! أين المكان يا (معاذ)؟!

أشار (معاذ) إلى الشاشة وقال:

ـ الطائرة ـكما توقعناـ تم إخفاؤها بنفس التكنولوجيا التي كانوا قد أخفوا بها وجه (عبد الله خليفة) عن الكاميرات، لكنني وجدتها لأن طريقة كتابة الشيفرة كانت هي نفس الطريقة أيضًا..

صرخ الرائد (عصام) وهو على وشك أن يفقد أعصابه:

ـ أين؟!

قال (معاذ) بعد أن تبادل نظرة سريعة مليئة بالحيرة مع المراقبين (أيمن) و(عبد الغفار):

ـ عند القطب المتجمد الجنوبي!

كانت مفاجأة غير متوقعة، جعلت الرائد (عصام) يسأل بعد برهة من الصمت:

ـ عند القطب الجنوبي؟!

روحة الكتب

أجاب (معاذ):

ـ القطب الجنوبي، كل الطائرات!

مرت دقيقة صمت، لم ينطق فيها أي منهم بأي كلمة أو تعليق، وبالذات (نادر)..

كان مندهشًا ومستغربًا جدًا..

كان من الواضح أنه لا يعرف شيئًا عن هذا!

وجه الرائد (عصام) الكلام مباشرة له، وقال:

ـ ما الذي تعرفه عن القطب الجنوبي؟! ما الذي يحدث هناك بالضبط؟!

لوح (نادر) بيديه يمينًا ويسارًا بحركة عصبية، وقال:

ـ لا يا (عصام) بيك.. القطب الجنوبي يعني تطورًا مخيفًا لم يكن بالحسبان إطلاقًا.. تطور مخيف للغاية، لا يعني إلا شيئًا واحدًا وخطيرًا جدًا..

سأل الرائد (عصام) وهو يقترب منه ويقول بلهجة صارمة:

ـ ما هو؟!

لوح (نادر) بيديه مرة ثانية وقال:

ـ إنَ الطائرات هناك، عند جدار الأرض!

الكلمة كانت غريبة جدًا..

غير مألوفة..

وغامضة!

قال الرائد (عصام) بدهشة شديدة جدًا وفضول هائل:

ـ وما جدار الأرض هذا بالضبط؟!

دودة الكتب مراجعة

نهض (نادر) فجأة، ولم يصوب أي منهم سلاحه نحوه..

لم يتصرف أي منهم بطريقة تدل وتقول إن هناك خطرًا منه، ثقتهم فيه أصبحت كبيرة للغاية وبشكل غريب غير منطقي، بالذات مع كل تلك التفاصيل، والتي كان الكثير منها غامضًا ومذهلًا..

قال (نادر) وهو يفرك يديه بقوة:

- جدار الأرض هو المكان الذي تنتهي عنده حدود القارات، ولا يوجد بعده إلا الثلج فقط، ويُعتبر فاصلًا أسطوريًا بين الحضارة وما وراء الحضارة، بين الإنسان وما بعد الانسان.. أولئك الذين يؤمنون أنَ الأرض ليست مدوّرة بل مسطحة يؤمنون بوجوده، بينما الذين وصلوا إليه من علماء العالم الثاني، وجدوا أن جدارا حقيقيًا موجود بالفعل عند القطب الجنوبي، ولكن بعيدًا عن كل تخاريف الأرض المسطحة بالطبع؛ فالأرض مدوّرة والفضاء موجود بكل ما فيه بالتأكيد..

قال الرائد (عصام):

- وما الذي يوجد وراء الجدار بالضبط؟!

قال (نادر):

- يوجد هناك بقايا حضارات بائدة، وفجوات لعوالم أخرى، وثقوب زمنية، ومركبات فضائية قديمة، والكثير جدًا من الأمور الغامضة المجهولة، ومن المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية تمنع تمامًا أن يقترب أي شخص من هذه المنطقة، حتى الطائرات لا تحلق فوقها، والأقمار الصناعية تعجز عن التقاط أي صور لها، هناك مئات أو آلاف الأسرار التي لا يصلح أن يعرفها كل الناس.. ليس من مصلحة أحد أن يعرفوا كل شيء..

قال الرائد (عصام):

- وما الذي يعنيه وجود الطائرات هناك؟! ألا تعرف ما الذي يعنيه

كوكب الكتب حرابية

وجودهم هناك؟!

هز (نادر) رأسه وهو يقول بحيرة:

ـ لا، يُفترض بهم أن يكونوا في مكان آخر..

قال الرائد (عصام) بدهشة:

ـ يُفترض بهم أن يكونوا في مكان آخر؟! أين؟!

قال (نادر) فجأة:

ـ ألم تعرف حقيقة ما حدث يا (عصام) بيك؟!

ببطء قال الرائد (عصام):

ـ لا، ليس بعد..

قال (نادر) وهو يزفر:

ـ نحن الذين قمنا بخطف الطائرة مع بقية الطائرات، بالاتفاق مع العلماء المخطوفين يا (عصام) بيك!

* * *

10

رنت عليه (لَمَا)، وتجاهل الاتصال..

رن عليه اللواء (أكرم) مدير إدارة البحث الجنائي، وأيضًا تجاهل الاتصال..

المعلومات الكثيرة التي سمعها الرائد (عصام) من (نادر) كانت هائلة ومفاجئة للغاية..

(نادر) الحقيقي و(نادر) المزيف، والعالم الذي هو فيه، والعالم الآخر، والأربعة المدسوسون، والذين لم يكن (نادر) ليستطيع أن يقتلهم إلا

دودة الكتب حرامية

حين ظهور القمر الأحمر العملاق فوق أهرامات المايا، وجدار الأرض الذي ظهر لهم أن الطائرات عنده هناك في القطب الجنوبي، و(فاروق) ابن (نادر) الذي جاءه من المستقبل، وآلات زمن وعوالم متوازية، وبعد كل هذا يقول لهم إنه والذين معه قاموا بخطف الطائرات بالاتفاق مع العلماء المخطوفين أنفسهم!

غريب..

غريب جدًا حتى أقصى حد..

زادت قوة الصداع أكثر؛ فاسترخى الرائد (عصام) في مكانه قليلًا بعد أن طلب من الجميع الصمت، وأخذ عدة أنفاس عميقة ببطء، ثم فتح عينيه، وأشعل سيجارة، وقال:

ـ أنتم الذين قمتم بخطف الطائرات مع العلماء المخطوفين أنفسهم يا (نادر)؟! أنتم مع علماء العالم الثاني؟!

قال (نادر):

ـ نعم يا (عصام) بيك، أنا بالتعاون مع علماء العالم الموازي، كان لا بدَ أن يكون هناك حلّ آخر، خطة بديلة في حال لم نستطع أن نمنع الكارثة، كل شيء أمامنا يخبرنا إن النيزك سيرتطم بالأرض حقًا هذه المرة، وهذا الأمر مؤكد عبر عدة مشاهدات زمنية ومن عدة أماكن مستقبلية، المؤكد هو أنَ النيزك أنهى الحياة وقضى على أغلب البشر، ولهذا كان لا بدَ من الخطة البديلة، وكان لا بدَ أن نستعجل بتنفيذها، بمعنى؛ لو حصل هذا بالفعل، لم لا تكون هناك أرض أخرى، أرض ثانية، عالم جديد فيه صفوة العلماء من هذا العالم، بالإضافة إلى صفوة علماء العالم الثاني؟! وجودهم معًا سيسرع من عجلة الحياة والتكنولوجيا، والبدء من جديد بممارسة الحياة من الصفر سيكون أسهل بكثير مع كل هذه العقول..

تساءل الملازم (طارق):

ـ لماذا لم يكن هُناك تعاون بين علمائنا وعلماء العالم الثاني كي يصلوا إلى حل مشترك وينتهي الأمر؟! صاروخ موجه للنيزك مثلاً، وليس ثمة داع لكل ما حدث ويحدث..

قال (نادر) بعد أن هز رأسه:

ـ فكرنا بهذا الحل بالطبع، كان الخيار الأول أمامنا أساساً، ولكن هذه المرة كان من المستحيل أن يحصل هذا.. سرعة اقتراب النيزك هائلة وحجمه عملاق، ومع كل التكنولوجيا السائدة حاليًا كان من المستحيل إيقافه بالوقت المناسب..

هتف (معاذ) فجأة:

ـ حتى لو قمتم باستخدام أحد الجيوب الزمنية؟!

عقد الرائد (عصام) حاجبيه، وسحب نفسًا جديدًا من سيجارته، وقال بعدم فهم:

ـ جيوب زمنية؟!

قال (معاذ) وهو يحاول أن يشرح الأمر للجميع:

ـ الجيب الزمني هو مساحة تائهة في الزمان والمكان، عندما تكون داخلها لا يسير الزمن، ربما تدخل في جيب زمني ما لمدة ساعتين أو يومين أو حتى أسبوعين، بالنسبة للناس أنت لم تكن هناك سوى لثانية واحدة فقط، الزمن داخل الجيب الزمني غير معدود ولا محدود، تستطيع أن تكبر بالعمر وأنت داخله دون أن يحصل أي تغيير في الزمن العادي وحياة الناس التقليدية، الأمر يشبه أن تسافر في رحلة بسرعة الضوء عبر الكواكب، وتعود بعد أيام لتجد أن الأرض قد مرّ عليها عشرات السنين..

قال الرائد (عصام) وهو يوجه كلامه إلى (نادر):

ـ إن كان هُناك شيء حقيقي من هذا كما يقول (معاذ) فالتساؤل في

مكانه؛ لماذا لم يفكر أحد بفعل هذا؟! كان من الممكن أن تأخذوا العلماء جميعًا إلى جيب زمني معين، وهناك أثناء توقف الزمن سيجد الجميع حلًا للمشكلة، ستجدون وسيلة تساعدكم على التصدي للنيزك، ستطورون العديد من الأسلحة الأحدث والأكثر قوة، وبالذات أن (فاروق) أتاك من المستقبل كما تقول، هذا يعني أن هناك العديد من الحلول البديلة الأخرى..

مط (نادر) شفتيه وتنهد، وقال:

- لا أدري، ولكن الـ..

وفجأة بتر كلامه وارتسم على ملامحه خوف رهيب..

على وجهه ملامح رعب هائل، لا مثيل له!

نهض فجأة، وصرخ بأعلى صوته:

- لا! ليس بعد! ليس الآن!

وأمام عيونهم المذهولة المصدومة، بدأ ذلك الدخان الرمادي بالظهور فجأة من شعره..

من يديه..

ومن عينيه..

وفجأة حدث آخر شيء يتوقعه أي منهم..

بدأ يذوب!

* * *

لم يفعل أحد منهم شيئًا..

لم يكن أحد منهم قادرًا على فعل أي شيء أساسًا، وهم ينظرون إليه دون حركة، وكأن الصدمة جمدتهم تمامًا، وهو ينكمش أمامهم،

www.maktabbah.blogspot.com

ويصرخ، ويذوي..

حجمه يصغر، ويذوب، يذوب، ويختلط اللحم مع الدم، مع الشعر، مع الملابس..

وانفجرت رائحة اللحم المحترق في المكان..

وانفجرت معها قنبلة جديدة من الغموض!

عيونهم كلهم تركزت على الكتلة اللحمية اللزجة، التي اختلط بها كل شيء ببعضه، والتي تكومت أمامهم على الأرض..

المنظر مقزز، وغير طبيعي!

رجل عادي، كان امامهم قبل دقائق، وكان يتكلم ويبتسم، والآن لا يمكن لأحد أن يميز شيئًا، مما تبقى منه..

خليط غريب من اللحم والدم!

تبادل الجميع نظرات متوترة، مليئة بالعصبية، والرعب، والخوف، بينما (أيمن) مال بجسده للأمام قليلا بحركة لا إرادية، واستفرغ كل ما ببطنه..

- ما الذي حدث بالضبط؟!

قالها الملازم (حمزة) بذهول؛ فقال الملازم (طارق) وهو يشير بإصبعه، بينما عيناه على الكتلة اللحمية:

- ذاب..

قال الرائد (عصام) ببطء:

- ذاب! لكن هذا يعني أنه هو أيضًا من العالم الثاني، الموازي! أي أنه ليس (نادر) الحقيقي كما أخبرنا..

سأل (معاذ) بعيون مفتوحة عن آخرها:

ـ هل كان يكذب طوال الوقت؟!

حرك الرائد (عصام) رأسه:

ـ لا أعتقد هذا، لا، هناك أجزاء كبيرة صحيحة من كلامه، لكن هناك أشياء ليست صحيحة.. ذوبانه بهذه الطريقة أمامنا هو تكرار لما حدث أول مرة، عندما ذابت الجثتان عند الطبيب الشرعي، بالإضافة إلى أنني أتوقع شيئًا آخر..

قال (معاذ):

ـ ماذا؟!

أشار الرائد (عصام) إلى الكتلة اللحمية، وقال موجهًا كلامه للملازم (حمزة):

ـ أنت أخذت دورة في التمريض قبل الالتحاق بالعمل معنا، أليس كذلك يا (حمزة)؟!

هز الملازم (حمزة) رأسه:

ـ نعم (عصام) بيك..

قال الرائد (عصام)، رغم أن ما سيطلبه ليس له علاقة بالتمريض ويستطيع أيّ واحد منهم أن يتأكد بالعين المجردة:

ـ تأكد من بصماته..

بصعوبة استطاع الملازم (حمزة) أن يستخلص من بين الكتلة اللحمية إصبعًا، أو بقايا إصبع بالأحرى، كي يستطيع النظر إلى البصمة عن قرب، شهق بقوة، وقال:

ـ البصمة معكوسة! مثل الجثث الأولى!

كان أمرًا مدهشًا وغريبًا وغير متوقع، تبادلوا مجددًا نفس النظرات

المتوترة، بينما تنهد الرائد (عصام) وقال:

- توقعت، وهذا تأكيد على أنه من العالم الثاني..

هتف (معاذ) بعدم تصديق وبنبرة صوت عالية:

- كيف يمكن أن يكون من العالم الثاني يا (عصام) بيك؟! من المستحيل أن هنالـ اثنان من العالم الثاني! ربما الذي مات هو (نادر) الحقيقي، بينما هذا هو الجاسوس، وربما العكس!

قال الرائد (عصام) بعصبية وهو يقلب كفه:

- لا أعلم يا (معاذ)، لا أعلم.. بعد كل هذا الغموض، وبعد كل تلك الأسئلة، جاء هذا الرجل الذي كان ميتا، وأخبرنا بكل ما نريد من إجابات، ثم مات بنفس طريقة موتته الأولى.. لا أدري.. هل الأول هو الحقيقي وهذا المزيف؟! هل العكس؟! هل هذا آلي؟! هل هذا مستنسخ؟! هل هذا من زمن ماضٍ أو من المستقبل؟! هل فعلا (فاروق) ابنه أم لا؟! هل فعلا تدور كل هذا الأمور حول المايا والأهرامات؟! هل هناك عالم آخر، ثالث، يريد علماؤه أن يروا إلى أين ستصل الأمور بين علماء العالم الأول والثاني مثلا؟! لم أعد أعلم شيئا.. موته بهذه الطريقة أمامنا بعثر كل الاحتمالات التي برأسي على الأرض، لا أعلم!

قال الملازم (حمزة) فجأة:

- هنالـ سؤال لم نعرف إجابته أيضًا يا (عصام) بيك، ولم يقل لنا (نادر) هذا شيئا عنه، بالرغم أنه حدث معه أيضًا..

تساءل الرائد (عصام):

- ماذا؟!

قال الملازم (حمزة) بتوتر:

- لماذا تذوب الجثث ولماذا تختفي؟! ما سبب ذوبانها فجأة؟! وكيف

لها أن تختفي دون سبب؟!

عم الصمت قليلًا، قبل أن يقول (معاذ) بعد أن تنحنح:

ـ أعتقد أن الأمر له علاقة بترددات هذه الأجسام مع زمننا وعالمنا، ترددا‌تهم تختلف عن ترددا‌تنا، لهذا يرفضهم عالمنا، يرفضهم على مرحلتين، الأولى هي الذوبان، والذي ينتهي باختفاء الجثث تمامًا دون أثر..

مرت دقيقة صمت، بينما استمر الجميع في النظر بمشاعر مختلطة إلى الكتلة اللحمية..

مليون سؤال في البال!

مَن؟! ولماذا؟! وكيف؟! وأين؟! ومتى؟!

ما الذي حدث بالضبط؟!

وما الذي سيحدث؟!

فجأة رن هاتف الرائد (عصام)، ولكن قبل أن يمد يده إليه، رن هاتف الملازم (حمزة) أيضًا، والملازم (طارق)، و(أيمن)، و(عبد الغفار)، و(معاذ)!

كلهم، بنفس الوقت..

الرنين كانت ممتزجًا مع العديد من أصوات التنبيه، من (فيسبوك) و(واتساب) و(تويتر) و(إنستجرام) أيضًا!

كانت (لمى) هي التي تتصل به؛ فرد عليها متجاهلا كل شيء، وهو يخرج من الغرفة:

ـ نعم يا (لمى)..

قبل أن تجيبه انتبه إلى تلك الجلبة في المطار..

العديد من الناس الذين يبكون؛ فتيات يركضن وهن يصرخن، هناك سيدات ورجال في حالة انهيار على الأرض، والنسبة الأكبر منهم كانوا يتكلمون عبر الهاتف بانفعال..

ـ نعم يا (لَما)..

صرخ بالعبارة مرة أخرى بعصبية هائلة..

ردت وقالت بانهيار:

ـ هل سمعت يا (عصام)؟!

صرخ:

ـ لم أسمع، ماذا هناك؟! ما الذي حدث؟!

صوتها كان منكسرا، وهي تقول:

ـ لن يرتطم النيزك بالأرض بعد أسابيع يا (عصام)..

كاد قلبه يتوقف عن الخفقان وهو يسأل:

ـ متى إذا؟!

قالت:

ـ اليوم، بعد ساعتين!

* * *

11

الهدوء..

الهدوء والبرد..

الهدوء والبرد والصمت القاتل..

المكان كان قاعة مستديرة لونها فضي؛ في نهايتها ممر طويل يفضي

إلى العديد من القاعات، وكان الثلاثة في هذه القاعة مع بعضهم، ينظرون عبر نافذة كبيرة، وقد انشدت حواسهم بشكل هائل، وبدا على ملامحهم الهدوء..

قال الأول فجأة ليقطع الصمت:

- أعتقد أن أمورنا بخير، لم يعد أمامنا إلا أن نسير في طريقنا، كما فعلنا طوال هذا الوقت..

قال الثاني:

- الممر في حالة ممتازة، والتعاون تم على اكمل وجه ممكن مع الجميع، كل شيء على ما يرام.. انطلت الخدعة على الجميع، وكان شيئًا ممتعًا بالنسبة لي أن أرى الطرفين يتصارعان، لنحصل نحن في النهاية على المكافأة الثمينة بحق..

سأل الثالث:

- بالنسبة لكل هؤلاء العلماء؛ هل دخلوا مرحلة السبات جميعًا هذه المرة؟! قلقت أن يصحو أحدهم ليرسل رسالة أخرى..

قال الأول:

- كلهم دخلوا مرحلة السبات عن طريق التجميد، أثناء وجودنا عند جدار الأرض، الذي عنده البوابة الوحيدة بين عالمنا وبين العالم الأول..

قال الثالث:

- والحالة الصحية؟!

قال الأول:

- جيدة للغاية بالطبع، الأدمغة ممتازة وكل شيء على ما يرام، خطتنا مستمرة كما رسمناها منذ البداية حين كنا نراقبهم، وقريبًا جدًا عندما نصل وجهتنا المنتظرة سنستخدمهم ونستفيد منهم جميعًا، ونصنع

الأرض الأخرى التي نريدها.. الأرض الثالثة..

قال الثاني:

ـ الأرض الجديدة.. نوفاتيرا..

قال الأول بظفر:

ـ نوفاتيرا.. أرضنا الجديدة.. أخيرا!

قالها وتنهد، وهو ينظر من النافذة إلى كوكب الأرض..

كوكب الأرض الذي ارتطم به النيزك العملاق قبل ساعات، وحوله إلى كتلة هائلة من الدمار والخراب والموت، والجثث والأشلاء التي تناثرت بكل اتجاه، والنيران والحطام والبقايا التي توزعت في كل مكان..

قالها (مازن صبري) وتنهد..

وتنهد (عبد الله خليفة) معه..

وتبادل الاثنان نظرات عميقة، تحمل ألف معنى ومعنى، مع الشخص الذي يجلس معهما..

الشخص الأخير..

كبير علماء العالم الثالث..

(نادر عبد العزيز)!

تمت بحمد الله